
الثاني من الشفا بتعريف
حقوق المصطفى

المجلد الثاني من الشفا بتعريف حقوق المصطفى في الحديث

شفاء حقوق مصطفى

من اربعه

المجلد الثالث من شفاء قاضي عياض مع اوجه خط مغربي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره

الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية فالإيمان بالنبي محمد عليه السلام واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه نا الإمام أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابن عمرويه نا ابن سفيان نا أبو الحسين نا أمية بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي أبو الفضل والإيمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد تقرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة وأما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن

اسم الايمان ❀ ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ❀ ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار ❀ وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام ❀ اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه ❀ وللفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان ❀ وبقيت حالتان اخريان بين هذين ❀ احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه ❀ فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به ❀ وراه بعضهم مومنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان ❀ فلم يذكر سوى ما في القلب ❀ وهذا مومن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره ❀ وهذا هو الصحيح في هذا الوجه ❀ الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة ❀ فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مومن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد ❀ وقيل ليس بمومن حتى

يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشا عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها ❀ وهذا هو الصحيح ❀ وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل ❀ او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب ❀ وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف ❀ وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شا الله

فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جا به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به ❀ قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ❀ وقال قل اطيعوا الله والرسول ❀ واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ❀ وقال وان تطيعوه تهتدوا ❀ وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله ❀ وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ❀ وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية ❀ وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ❀ فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب ❀ واوعد على مخالفته بسو العقاب ❀ واوجب امتثال امره واجتناب نهيه ❀ قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم

بما جاءبه ۞ وقالوا وما أرسل الله من رسول الا فرض طاعته على من أرسله اليه
وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرايضه ۞ وسيل سهل بن عبد الله
عن شرايع الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه ۞ وقال السمرقندي
يقال أطيعوا الله في فرايضه والرسول في سنته ۞ وقيل أطيعوا الله فيما حرم
عليكم والرسول فيما بلغكم ۞ ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة ۞ حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا
حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف
نا البخاري نا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد
الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد
أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني ۞ فطاعة الرسول من طاعة
الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له ۞
وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ۞ فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني ۞
وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا
منه ما استطعتم ۞ وفي حديث أبي هريرة عنه عليه السلام كل أمتي
يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن

عصاني فقد أبى ۞ وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل
ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني
أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طايفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على
مهلهم فنجوا وكذبت طايفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به
من الحق ۞ وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة
وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم
يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي
محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس

فصل

وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته
والاقتداء بهديه فقد قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم ۞ وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ۞ وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم الى قوله تسليما ۞ أي ينقادون لحكمك ۞ يقال سلم واستسلم وأسلم
إذا انقاد ۞ وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر الآية ۞ قال محمد بن علي الترمذي الأسوة في الرسول
الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل ۞ وقال غير

واحد من المفسرين بمعناه ❁ وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه ❁ وقال سهل
في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم
تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين
الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
ووعدهم محبته تعالى في الآية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه
على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم
له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه ❁ وروي عن الحسن ان
اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الآية ❁ وروي ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره
وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الآية ❁
وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما
امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا
ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ❁ ويقال الحب من الله
عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة ❁ كما قال القايل ❁ ❁

❁ تعصي الاله وانت تظهر حبه ❁ هذا لعمري في القياس بديع
❁ لو كان حبك صادقا لاطعته ❁ ان المحب لمن يحب مطيع ❁

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له
وارادته الجميل له ❁ وتكون بمعنى مدحه وثنايه عليه ❁ قال القشيري
فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات ❁ وسياتي
بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى ❁ حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن
جعفر الفقيه قال نا ابو الاصبغ عيسى بن سهل ونا ابو الحسن يونس بن مغيث
الفقيه قراتي عليه قالا نا حاتم بن محمد قال نا ابو حفص الجهني نا ابو بكر الاجري
نا ابرهيم بن موسى الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد
عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن
العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة ❁ زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار ❁ وفي حديث ابي
رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر
من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا
وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ترخص
فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم
قال ما بال قوم يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشد
له خشية ❁ وروي عنه عليه السلام انه قال القران صعب مستصعب

على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القران
ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا
بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال
الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى
بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى
هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي
قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او
سنة قايمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله
يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مايه شهيد وقال
عليه السلام ان بني اسرايل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي
تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله
قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيا
سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنتي قد اميتت

بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيا ومن
ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا
ينقص ذلك من اوزار الناس شيا **فصل** واما ما ورد عن السلف والايمة
من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته حدثنا الشيخ ابو عمران موسى
ابن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال ابو عمر الحافظ نا سعيد
ابن نصر نا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى
نا ملك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال
يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد
صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا
نعلم شيا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله
واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المومنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال
الحسن ابن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرايض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا

يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله
وفي خبر وحين صلى بذي الحليفة ركعتين وقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن وقال له عثمن ترى انى انهى الناس
عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد
من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول
القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر
ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه
ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية
ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد
في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا
ان يكون على منهاج الانبياء وسننهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد
العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة
او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم

بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله
وعن عطاء في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة
رسول الله وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله الا اتباعها وقال عمر
ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورءى عبد الله بن عمر يدير
ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله
ففعلته وقال ابو عثمن الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا
نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل
التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في
الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال
وجاء في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة
تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا
لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما
يقتدى بك قلت من انت قال جبريل

فصل

ومخالفة امره
وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذا

قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو
يصيبهم عذاب أليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا ابو محمد عبد الله
ابن أبي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا نا ابو القسم حاتم
ابن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو الحسن بن مسرور الدباغ نا احمد بن ابي
سليمن نا سحنون بن سعيد نا ابن القسم نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة
وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد
البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا
بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد
وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين احدكم
متكئا على اريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام ألا وإن
ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام
وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به
نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا

عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام هلك المتنطعون
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثاني في لزوم محبته

قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها
ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه
لها عليه السلام اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله
ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام
الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني
الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال نا سراج بن
عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف
نا محمد بن اسمعيل نا يعقوب بن ابراهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه
وعن انس عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله

يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار ۞ وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل
شيء إلا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم
حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت
أحب إلي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر
قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه السلام عليه في جميع الأحوال ويرى
نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته

۞ حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه
نا أبو القسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا أبو زيد المروزي
نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان نا أبي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم
ابن أبي الجعد عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صوم
ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت ۞ وعن صفوان
ابن قدامة هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت يا رسول الله ناولني
يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني أحبك قال المرء مع من
أحب ۞ وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود

وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه ۞ وعن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم
أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما
كان معي في درجتي يوم القيمة ۞ وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من نفسي ومالي وإني لأذكرك
فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت
أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله
ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فدعا به
فقرأها عليه ۞ وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي وأمي أتمتع من النظر إليك
فإذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية ۞ وفي حديث أنس
ومن أحبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له

۞ حدثنا القاضي الشهيد
نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفين نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن
عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله ۞ ومثله
عن أبي ذر تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب

الى من نفسي، وما تقدم عن الصحابة في مثله ۞ وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم ۞ وروى عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه، يعني اباه ابا قحافة، وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ۞ ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل ۞ وسئل علي بن ابي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظماء ۞ وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول ۞ على محمد صلاة الابرار ۞ صلى عليه الطيبون الاخيار ۞ قد كنت قواما بكا بالاسحار ۞

يا ليت شعري والمنايا اطوار ۞ هل تجمعني وحبيبي الدار ۞ تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي، وفي الحكاية طول ۞ وروى ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ۞ ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ۞ ويروى ان امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها حتى ماتت ۞ ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم ۞ وعن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلّفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ۞ ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته عليه السلام ۞ اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا ۞ فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه

وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره
واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه
وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى
والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله حدثنا القاضي أبو علي الحافظ
نا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا نا أبو يعلى البغدادي
نا أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا أبو عيسى نا مسلم بن حاتم نا محمد بن
عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال
أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن
تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من
سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة
فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض
هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام
للذي حده في الخمر ولعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة

النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره ومنها
كثرة شوقه إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث
الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون
غدا نلقى الأحبه محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار
قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع
كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من
يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوة
من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحب وقد
قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما
وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه وقال من أحبهما فقد أحبني ومن
أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد
أبغض الله وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي
أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني

واختار الفراء والزجاج وهذه الآية قد بينت أن مودة الكفار تقدح في صحة الإيمان وأن من كان مؤمناً لم يوال كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته

فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه ۞ وقال في فاطمة إنها بضعة
مني يغضبني ما أغضبها ۞ وقال لعائشة في زيد بن أسامة أحبيه
فإني أحبه ۞ وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم ۞
وفي حديث ابن عمر من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي
أبغضهم ۞ فبالحقيقة من أحب شيئاً أحب كل شيء يحبه ۞ وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس ۞ وقد قال أنس حين رأى
النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب الدباء
من يومئذ ۞ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها
أن تصنع لهم طعاماً مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وكان ابن
عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يفعل نحو ذلك ۞ ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه
ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف
شريعته ۞ قال الله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله ۞ وهؤلاء أصحابه عليه السلام قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا
آباءهم وأبناءهم في مرضاته ۞ وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت
لأتيتك برأسه يعني أباه ۞ ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام
وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن ۞ وحبه

للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها ۞
قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب
القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة
وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض
الدنيا ألا يدخر منها إلا زاداً وبلغة إلى الآخرة ۞ وقال ابن مسعود لا
يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ۞
ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم
وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفاً
رحيماً ۞ ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه
به ۞ وقد قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع
من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله ۞ وفي حديث عبد الله بن مغفل
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر
ما تقول قال إني والله أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد
للفقر تجفافاً ۞ ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه

فصل

في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها ۞ اختلف الناس
في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم
في ذلك ۞ وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال ۞

وقال سمنون المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانه التفت الى قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية ❊ وقال بعضهم محبة الرسول
اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته ❊ وقال
بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ❊ وقال اخر ايثار المحبوب ❊
وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب ❊ وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب
لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره ❊ وقال اخر المحبة ميل
القلب الى موافقه ❊ واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة
دون حقيقتها ❊ وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان ❊ وتكون
موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات
الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم
مايل اليها لموافقتها له ❊ او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه
معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور
عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مايل الى الشغف
بامثال هولاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين
ما يودي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس ❊ او يكون
حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس
على حب من احسن اليها ❊ فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها

في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة
للمحبة ❊ اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا
منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة ❊ واما احسانه وانعامه
على امته فلذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم
وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمومنين
روف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلوا
عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ❊
فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين ❊ واي
افضال اعم منفعة واكثر فايدة من انعامه على كافة المسلمين ❊ اذ كان ذريعتهم
الى الهداية ومنقذهم من العماية ❊ وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم
الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقا الدايم والنعيم
السرمد ❊ فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا
بما قدمناه من صحيح الاثار ❊ وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال ❊ فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او
مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع
فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب ❊ واذا
كان يحب بالطبع ملك الحسن سيرته او حاكم لما يوثر من قوام طريقته او قاص

بعيد الدار لما يشاهد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب
الكمال الحق بالحب واولى بالميل ۞ وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من
راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه ۞ وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان
لا يصرف بصره عنه محبة فيه **فصل** في وجوب مناصحته عليه السلام ۞
قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ۞ قال اهل التفسير اذا نصحوا
لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية ۞ حدثنا الفقيه
أبو الوليد بقراتي عليه نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله نا ابن عبد المومن
نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح عن عطاء
ابن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله وائمة
المسلمين وعامتهم ۞ قال ايمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين
وعامتهم واجبة ۞ قال الامام ابو سليمن البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن
جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها
ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه ۞
وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة ماخوذ
من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب ۞ وقال ابو اسحق الزجاج نحوه ۞

فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص
في عبادته ۞ والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته
والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل
الغالين وطعن الملحدين ۞ والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل
الطاعة له فيما امر به ونهى عنه ۞ قاله ابو سليمن ۞ وقال ابو بكر وموازرته
ونصرته وحمايته حيا وميتا واحيا سنته بالطلب والذب عنها ونشرها
والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة ۞ وقال ابو ابرهيم اسحق التجيبي
نصيحة رسول الله التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها
والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها ۞ وقال احمد بن
محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ۞ قال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته
ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال
تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية ۞ وقال وينصرون الله ورسوله
الاية ۞ واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة
المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته

وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته والحرف عنها وبغضه والتحذير منه
والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على
ذلك فعلى ما ذكرناه تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الإمام أبو القسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد
ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له
ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بم ذا قال صعدت ذروة جبل يوما
فأشرفت على جنودي فأعجبني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي وأما النصيحة
لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم إياه
على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين
وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم والنصح
لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث
في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية وقال يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله ويا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
الثلاث الآيات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه قال ابن عباس
تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش
تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزاءين من العز ونهى
عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره
وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا
له وأنصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا
بشيء في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به وإلى
هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه
يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته
إن الله سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته
والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم
بعضا باسمه قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب
ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ويرفع صوته وقيل ينادي ولكن عظموه
ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله

في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد
التأويلين قال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى
بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم
وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد اخرج إلينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية
الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف
جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم
فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون
حبط عمله وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن
أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل
الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية
قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر
كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم
عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم

وقيل نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه
وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي
بصوت له جهوري أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد
نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا
راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها
تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا نرعك
فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم
بل حقه أن يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله
عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا
للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا **فصل** في
عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره وإجلاله حدثنا
القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي سماعا عليهما في آخرين قالوا
نا أحمد بن عمر نا أحمد بن الحسن نا محمد بن عيسى نا ابرهيم بن سفين نا مسلم
نا محمد بن المثنى وأبو معن الرقاشي وإسحق بن منصور نا الضحاك بن مخلد نا
حيوة بن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال
حضرنا عمرو بن العاصي وذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان
أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه

وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما
أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ۞ وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم
جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر
وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم
إليهما ۞ وروى أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير ۞ وفي حديث صفته
إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ۞ وقال عروة بن
مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه
وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها
بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا
ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم
عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال
يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني
والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ۞ وفي رواية إن رأيت
ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه

أبدا ۞ وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل ۞
ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى
الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ممن قضى نحبه ۞ وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالسا القرفصاء أرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما ۞ وفي
حديث المغيرة كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير
وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الأمر فأؤخر السنين من هيبته **فصل** واعلم أن حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان
حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع
اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته ۞ قال
أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان

يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به قال القاضي
أبو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله
عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو
القسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا نا أبو العباس
أحمد بن عمر بن دلهاث قال نا أبو الحسن علي بن فهر نا أبو بكر محمد بن أحمد بن
الفرج نا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن إسحق بن أبي إسرائيل نا ابن
حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن
الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية
ومدح قوما فقال إن الذين يغضون أصواتهم الآية وذم قوما فقال إن الذين
ينادونك من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع
به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية وقال
مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه
قال وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي

صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله
للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك
على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي
ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله
عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان
كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر
وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ولقد
اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما مصليا
وإما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء
والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القسم
يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد
جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت
آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنى
الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك
ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين

فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكا فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس
عنه ويتركوه ۞ وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه
العويل والزويل ۞ ولما كثر على مالك الناس قيل لو جعلت مستمليا
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء ۞ وكان عبد الرحمن
ابن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت
وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من
الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله **فصل**
في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسنته ۞ حدثنا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو الفضل بن
خيرون نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا علي بن
مبشر نا احمد بن سنان القطان نا يزيد بن هرون نا المسعودي عن مسلم
البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما
سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما
فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت
العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شا الله او فوق ذا او ما دون ذا
او ما قريب من ذا ۞ وفي رواية فتربد وجهه ۞ وفي رواية وقد تغرغرت عيناه

[قوله فتربد وجهه اي تغير الى الغبرة وقيل الربدة لون بين السواد والغبرة ه النهاية]

وانتفخت اوداجه ۞ وقال ابرهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم
اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا قايم ۞ وقال مالك جا رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع
فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع ۞ وروي عن محمد بن سيرين انه
قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع
وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له ۞ وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد
وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث ۞ قال مصعب
فسيل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ قال مطرف
كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ
تريدون الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل
مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع
على راسه رداه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر
بالعود حتى يفرغ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ قال غيره ولم يكن

حديث

يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره
ان يحدث في الطريق او هو قائم او مستعجل وقال احب ان افهم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك
وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر
ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه
الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت
اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما
مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل
من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله
جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض
قال القاضي احق من أدب وذكر ان هشام بن الغازي سأل مالكا عن حديث
وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال
هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح
كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان
قتادة يستحب ان لا تقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء

ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على
غير وضوء تيمم **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه وسلم
وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه عليه السلام
وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا
الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسن
المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف
حدثني ابي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن اسمعيل نا يحيى هو الحماني
نا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد
من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال عليه
السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي
فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار
وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال
بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة

قوله جللهم يعني غطاهم

دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم
هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ❀ وعن سعد بن ابي
وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا
وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي ❀ وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من
كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه
لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق ❀ وقال للعباس والذي نفسي بيده
لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن آذى عمي فقد آذاني
وانما عم الرجل صنو ابيه ❀ وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم
وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري
اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين ❀ وكان يأخذ
اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما ❀ وقال ابو بكر رضي الله
عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته ❀ وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي ❀ وقال صلى الله عليه وسلم
احب الله من احب حسنا ❀ وقال من احبني واحب هذين واشار الى الحسن وحسين
واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة ❀ وقال صلى الله عليه وسلم
من اهان قريشا اهانه الله ❀ وقال قدموا قريشا ولا تقدموها ❀ وقال عليه
السلام لام سلمة لا تؤذيني في عائشة ❀ وعن عقبة بن الحرث رايت ابا بكر

رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس
شبيها بعلي وعلي يضحك ❀ وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت
عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او
اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي ❀ وعن الشعبي صلى زيد بن
ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ
بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا
نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت
نبينا ❀ وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي
فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض
وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه ❀ وقال الاوزاعي دخلت
بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد
العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل
يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس
بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ❀ ولما فرض عمر بن الخطاب
لابنه عبد الله في ثلثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسمائة
قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا
كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك

فآثر تحية رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي. وبلغ معاوية أن كابس
ابن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار
قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة
رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروي أن مالكا رضي الله عنه لما ضربه جعفر بن
سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال
أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت
فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي.
وقيل إن المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها
سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي
لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي
من أن أقدمه عليهما. وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم فسجد فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال أليس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يزورها. ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم
بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا مثل ذلك

فصل

ومن توقيره وبره عليه السلام توقير أصحابه وبرهم ومعرفة
حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر
بينهم ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك
فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك
ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد
سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام إذا ذكر أصحابي فأمسكوا.
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء
بينهم إلى آخر السورة. وقال والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الآية. وقال
لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك. وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه الآية. حدثنا القاضي أبو علي نا أبو الحسين وأبو الفضل نا أبو يعلى نا أبو
علي السنجي نا محمد بن محبوب الترمذي نا الحسن بن الصباح نا سفيان بن عيينة
عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. وقال أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به. وقال الله الله في
أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي

أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله
يوشك أن يأخذه ۞ وقال لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا
ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ۞ وقال من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ۞ وقال إذا ذكر أصحابي
فأمسكوا ۞ وقال في حديث جابر إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين
سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير ۞ وقال من أحب عمر فقد أحبني
ومن أبغض عمر فقد أبغضني ۞ قال مالك بن أنس وغيره من أبغض الصحابة
وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاؤوا من بعدهم
الآية ۞ وقال من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار
وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم ۞ قال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام
الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله
ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف
للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا
ويكون قلبه سليما ۞ وفي حديث خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس إني راض عن عمر وعن
علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس إن الله تعالى غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس
احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة
لا توهب في القيامة غدا ۞ وقال رجل للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من
معاوية فغضب وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معاوية
صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله ۞ وأتي النبي صلى الله عليه وسلم
بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فأبغضه الله ۞ وقال
عليه السلام في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم ۞ وقال احفظوني
في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم
يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه ۞ وعنه عليه السلام
من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة ۞ وقال من حفظني في
أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني
إلا من بعيد ۞ قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله
به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر
كالمودع لهم وبذلك أمره الله وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم
ومعاداة من عاداهم ۞ وروي عن كعب ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيمة
قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه ولم يعز
أوامره **فصل** ومن إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام
مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام
أو عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي محذورة قصة
في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن
بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة
خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه
فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها
فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام لئلا أسلب
بركتها وتقع في أيدي المشركين ورئي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي
صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب
بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحافر دابة وروي أنه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له
الشافعي أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد
الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما
مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم

أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية بضرب
ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه
تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وفي الصحيح
أنه قال عليه السلام في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد
عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته
الأكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلم من حلف
على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت أن أبا الفضل
الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول أنشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق

يأتي إلى بيت مولاه راكبًا لو قدرت أن أمشي على راسي ما مشيت على قدامي

قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكايل وعرجت منها الملايكة والروح وضجت عرصاتها بالتسبيح والتقديس واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضايل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الأنام وخص بالآيات

عندي لأجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات

وعلي عهد إن ملأت محاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات

لأعفرن مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرشفات

لولا العوادي والأعادي زرتها ... أبدًا ولو سحبًا على الوجنات

لكن ساهدي من جفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات

أذكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالآصال والبكرات

وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى إن الله وملايكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه إن الله وملايكته يباركون على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملايكته يدعون له قال المبرد وأصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملايكة رقة واستدعا للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملايكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملايكة وصلاة الملايكة الدعاء قال القاضي أبو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك

وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة ❊ الثاني اي السلام على
حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله ❊ الثالث
ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما **فصل** اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على
الجملة غير محدد لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة والعلماء له
على الوجوب واجمعوا عليه ❊ وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده
على الندب وادعى فيه الاجماع ❊ ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه
الذي يسقط به الحرج وماثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما
عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله ❊ قال
القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة
على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك ❊
وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه
ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها
ولا يغفل عنها ❊ قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
واجب ..... في الجملة ❊ قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه
وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة

بوقت

بعقد الايمان لا تتعين في الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة من
عمره سقط الفرض عنه ❊ وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به
ورسوله عليه السلام هو في الصلاة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها
غير واجبة ❊ واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي
وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على
ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة ❊ وشذ
الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد
الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزئه ❊ ولا
سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها ❊ وقد بالغ في انكار هذه المسألة
عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم
الطبري والقشيري وغير واحد ❊ وقال ابو بكر بن المنذر يستحب
ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك واهل المدينة وسفين
الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جمل اهل
العلم ❊ وحكي عن مالك وسفين انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها
في التشهد مسيء ❊ وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة
واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان ❊ وحكى ابو محمد بن ابي زيد

عن محمد بن المواز أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة، قال أبو محمد
يريد ليست من فرائض الصلاة، وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره. وحكى
ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول
الشافعي. وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي
في هذه المسألة. قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة
الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم له فيها قدوة، والدليل على أنها ليست
من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه.
وقد شنع الناس عليه في هذه المسألة جدا، وهذا تشهد ابن مسعود الذي
اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم
ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد
عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر
وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير
لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر
كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن.
ونحوه عن أبي سعيد. وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر
كما يعلمون الصبيان في الكتاب. وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب
وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي. قال ابن القصار معناه كاملة

أو من لم يصل علي مرة في عمره، وضعف أهل الحديث كلهم رواية
هذا الحديث. وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه. قال
الدارقطني الصواب أنه قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت
صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت
أنها لا تتم. **فصل** في المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب. من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمنا
وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء. حدثنا القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي
عليه قال نا الإمام أبو القسم البلخي قال نا الفارسي عن أبي القسم الخزاعي عن
عن أبي الهيثم عن أبي عيسى الحافظ قال نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن يزيد المقرئ
نا حيوة بن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره
أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء
عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء. ويروى من
غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح. وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء
والصلاة معلق بين السماء والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلي على النبي

صلى الله عليه وسلم ۝ وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه ۝ وقال
وعلى آل محمد ۝ وروى أن الدعا محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه
وسلم ۝ وعن ابن مسعود إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بحمده
والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل
فإنه أجدر أن ينجح ۝ وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن
احتاج إلى شرابه شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في أول
الدعاء وأوسطه وآخره ۝ وقال ابن عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب
وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن
وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة
والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب وأجنحته
الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ۝
وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد ۝ وفي حديث آخر كل دعاء
محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء ۝ وفي دعاء
ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم
تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على محمد عبدك
ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين ۝

حاجة

صادف

ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه أو كتابه أو عند
الأذان ۝ وقد قال عليه السلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح ۝ وكره سحنون
الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب
وطلب الثواب ۝ قال أصبغ عن ابن القسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة
والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله
صلى الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله ۝ وقاله أشهب ۝ قال ولا ينبغي أن
تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا ۝ وروى النسائي
عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالصلاة يوم الجمعة ۝
ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد ۝ قال أبو إسحق بن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم
على آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك
فضلك ۝ وقال عمرو بن دينار في قوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم
قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلم على النبي ورحمة الله وبركاته السلم
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله تعالى وبركاته ۝
قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد ۝ وقال النخعي إذا لم يكن في المسجد

لأكان عليه ...

عليه

أحد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد أقول السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته صلى الله وملايكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا
خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد
ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا
هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه..
ايضا الصلاة على الجنايز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن
مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي وآله
في الرسايل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند
ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم بها
ايضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكة
تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب
رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت نا ابو الهيثم نا محمد بن يوسف
نا محمد بن اسمعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله

احمد

والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح
في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد
وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد
ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام
قال محمد بن مسلمة اراد ما جا عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند
سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي
الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملايكة وبني
آدم والجن قال مالك في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه
ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام عليكم **فصل** في كيفية الصلاة عليه
والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه نا
القاضي ابو الاصبغ نا ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن واقد وغيره نا ابو عيسى
نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو
ابن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول
الله
كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته

كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت
على آل ابرهيم انك حميد مجيد ❀ وفي رواية مالك عن ابي مسعود
الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على
آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابرهيم في العالمين
انك حميد مجيد ❀ والسلام كما قد علمتم ❀ وفي رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد
وآل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد ❀ وعن عقبة بن عمرو
في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد ❀ وفي رواية
ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه ❀
وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف
النحوي بقراءتي عليه قالا نا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال نا ابو بكر
المطوعي قال نا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي
بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن
علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن
في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت
من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما

باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد
وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن
على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد ❀ وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره
ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على
محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما
صليت على ابرهيم انك حميد مجيد ❀ وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري
سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم
انك حميد مجيد ❀ وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد
عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق
بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه

به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم موضحات الأعلام
ونايرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن
علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة
اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت
له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول
اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له
نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة
ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم ح وعنه أيضا في الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية
لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين
والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب
العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام
المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك
السراج المنير وعليه السلام ح وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل
صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون

بلغ

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبرهيم إنك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبرهيم وآل إبرهيم إنك
حميد مجيد ح وكان الحسن البصري يقول من أراد أن يشرب
بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه
وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه
ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين ح وعن طاوس عن
ابن عباس أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبرهيم وموسى ح وعن
وهيب بن الورد أنه كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل
ما سألك لنفسه وأعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك وأعط
محمدا أفضل ما أنت مسؤول له إلى يوم القيامة ح وعن ابن مسعود أنه
كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه
فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
آل إبرهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت

على آل ابرهيم انك حميد مجيد ۞ وما يوثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء
عن اهل البيت وغيرهم كثير ۞ وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في
التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ۞ وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام على
انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى المومنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم
اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما
ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته ۞ جا في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي بالغفران ۞
وفي حديث الصلاة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في غيره
من الاحاديث المعروفة المرفوعة ۞ وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر
وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي
تختص به ويدعى لغيره بالمغفرة والرحمة ۞ وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في
الصلاة على النبي اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابرهيم وآل ابرهيم
ولم يات هذا في حديث صحيح ۞ وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له

۞ حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي يونس بن مغيث
نا ابو بكر بن معاوية نا النسائي انا سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح
قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله
ابن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا
لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان
اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ۞ وروى انس بن مالك
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات ۞ وفي رواية وكتب
له عشر حسنات ۞ وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل ناداني فقال
من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ۞ ومن رواية
عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله
يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ۞ ونحوه من رواية
ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة ۞ وعن زيد بن
الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد
وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي ۞
وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة ۞ وعن
ابي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له

مابقي اسمي في ذلك الكتاب ۞ وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملايكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر ۞ وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شيت قال الربع قال ما شيت وان زدت فهو خير قال الثلث قال ما شيت فان زدت فهو خير قال النصف قال ما شيت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شيت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك ۞ وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله وملايكته بها عشرا ۞ وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة ۞ وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا

قال الفقيه ابو الليث السمرقندي اذا اردت ان تعرف ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم افضل من سائر العبادات فانظر وتفكر في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فجميع العبادات امر الله تعالى عباده بها واما الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد صلى عليه بنفسه اولا ثم امر ملايكته بالصلوة ثم امر المومنين بان يصلوا عليه فثبت بهذا ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم افضل العبادات

اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا غفر له ۞ وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة ۞ وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي ۞ وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة ۞ وعن ابي بكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه ۞ حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا نا ابو يعلى نا السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا احمد بن ابرهيم الدورقي نا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ۞ قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد فقال امين ثم صعد فقال امين فساله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل

وبمحمد رسولا

الله

النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن أدرك رمضان فلم يُقبل منه فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرّهما فمات مثله ❁ وعن علي بن أبي طالب عنه عليه السلام أنه قال البخيل كل البخيل الذي ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ ❁ وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ أخطى به طريق الجنة ❁ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن البخيل كل البخيل من ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ ❁ وعن أبي هريرة قال أبو القسم صلى الله عليه وسلم أيّما قوم جلسوا مجلساً ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلّوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله تِرَة إن شاء عذّبهم وإن شاء غفر لهم ❁ وعن أبي هريرة من نسي الصلاة نسي طريق الجنة ❁ وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء أن أُذكر عند الرجل فلا يصلّي عليّ ❁ وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة ❁ وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلسون قوم مجلساً لا يصلّون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ❁ حكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس ❁

٢٢

فصل في تخصيصه عليه السلم بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الأنام ❁ حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي نا الحسين بن محمد نا أبو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا أبو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً بلّغته ❁ وعن ابن مسعود إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلّغوني عن أمتي السلام ❁ ونحوه عن أبي هريرة ❁ وعن ابن عمر أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فإنه يؤتى به منكم في كل جمعة ❁ وفي رواية فإن أحداً لا يصلي عليّ إلا عُرضت عليّ صلاته حين يفرغ منها ❁ وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني ❁ وعن ابن عباس ليس أحد من أمة محمد يسلّم عليه ويصلي عليه إلا بلغه ❁ وذكر بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عُرض عليه اسمه ❁ وعن الحسن بن علي إذا دخلت المسجد فسلّم على النبي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلّوا عليّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ❁ وفي حديث أوس أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة

فإن صلاتكم معروضة علي ❊ وعن سليمن بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هاؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم ❊ وعن ابن شهاب بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإنهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي علي إلا حملها ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الأنبياء عليهم السلام ❊ قال القاضي وفقه الله عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم ❊ وروي عن ابن عباس أنه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم ❊ وروي عنه لا تنبغي الصلاة على أحد إلا النبيين ❊ وقال سفين يكره أن يصلى إلا على نبي ❊ ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد عليه السلام ❊ وهذا غير معروف من مذهبه ❊ وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن إسحق أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به ❊ قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله ❊ قالوا والأسانيد عن ابن عباس لينة

والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع ❊ وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية ❊ وقال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية ❊ وقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ❊ وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى ❊ وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان ❊ وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته ❊ وفي آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه ❊ وقيل أمته ❊ وقيل الأتباع والرهط والعشيرة ❊ وقيل آل الرجل ولده ❊ وقيل قومه ❊ وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة ❊ وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ❊ ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد ❊ يريد نفسه ❊ لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل ❊ لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه ❊ وهذا مثل قوله عليه السلام لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود ❊ وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ❊ وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ❊ ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي ❊ وروى ابن وهب عن أنس بن مالك

كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم
أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار ۞ قال القاضي والذي ذهب
إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفين رحمهما الله وروي عن ابن
عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء
عند ذكرهم بل هو شيء تختص به الأنبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما تخص الله تعالى
عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشارك له فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وساير الأنبياء بالصلاة والتسليم
ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ۞
ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون
ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ۞ وقال والتابعون لهم
بإحسان رضي الله عنهم ۞ وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول كما
قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة
فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك ۞ وأيضا فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما
التزموه من ذلك ۞ وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله
عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص ۞ وصلاة النبي
صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة

ليس فيها معنى التعظيم والتوقير ۞ قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ۞ فكذلك يجب أن يكون
الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض ۞ وهذا اختيار
الإمام أبي المظفر الأسفرايني من شيوخنا

فصل في حكم
زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم
ويدعو له ۞ وزيارة قبره عليه السلم سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة
مرغب فيها ۞ روى عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي ۞ وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم
القيامة ۞ وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني في
حياتي ۞ وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ۞ وقد
اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلم
لعن الله زوارات القبور ۞ وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها ۞ وقوله من زار قبري ۞ فقد أطلق اسم الزيارة ۞ وقيل
لأن ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور ۞ وهذا أيضا ليس بشيء إذ
ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما ۞ وقد ورد في حديث أهل الجنة
زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه ۞ والأولى عندي أن منعه

وكراهة مالك له لإضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا
النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة
هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب
والله اعلم قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور
بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطي
قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه
وبمن عمره وقصده من الصحابة وايمة المسلمين والاعتبار بذلك كله
وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من
وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملايكته
يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة
ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن
ابي سعيد المهري قدمت على عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك
حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقره
مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم
رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه

عمر بن

حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه
وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنوا ويسلم ولا يمس
القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله
عليه وسلم يدعوا ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب
ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في
القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر
رايته مائة مرة واكثر يجي الى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه
وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف وفي الموطا من
رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القسم والقعنبي ويدعو لابي
وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر
قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي بلفظ
الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال
ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول
الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملايكته على محمد

بكر

اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من
الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر
فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت
اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة
افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي
عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من
الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان
تاتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما
بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك
من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا
خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا
خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان

وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله
وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله باسم الله
دخلنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا
مثل ذلك وعن فاطمة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل
هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفي رواية باسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي
ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل
احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح
لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من
اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس
لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر
وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر
فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه

ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم
يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره
الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القسم ورايت اهل المدينة اذا
خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رايي قال
الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغربا قصدوا لذلك واهل
المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلم
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيايهم
مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي
فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية
يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع
التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما
في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي
من التنفل في البيوت **فصل** فيما يلزم من دخل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة
فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل اي مسجد هو قال مسجدي هذا

وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت ومالك بن انس وغيرهم وعن
ابن عباس انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه
قال نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المومن
نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود نا مسدد نا سفين عن الزهري عن سعيد بن
المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا
الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد
تقدمت الاثار في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد
وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم
من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف
قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن
مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى
وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في
مبسوطه في باب فضل مسجد النبي عليه السلام والعلماء كلهم متفقون
ان حكم ساير المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن
مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين

فيما تخلط عليهم صلاتهم وليس مما تحصر به المساجد رفع الصوت
فذكره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام
ومسجد منا. وقال ابو هريرة عنه عليه السلم صلاة في مسجدي هذا
خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام. قال القاضي اختلف
الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة
والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه
وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجد الرسول افضل
من الصلاة في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا
بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما
سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا
مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمنا وهو قول عمر بن الخطاب
ومالك واكثر المدنيين. وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو
قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي
عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة
في المسجد الحرام افضل. واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي
صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام

افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة. وروى قتادة مثله
فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد
بمائة الف. ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض. وقال القاضي
ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد
ولا يعلم منه حكمها مع المدينة. وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل
انما هو في صلاة الفرض. وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في
النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان.
وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه.
وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة. ومثله
عن ابي هريرة وابي سعيد. وزاد ومنبري على حوضي. وفي حديث
آخر منبري على ترعة من ترع الجنة. قال الطبري فيه معنيان احدهما
ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما بينه بين
حجرتي ومنبري. والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في
هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري. قال الطبري واذا كان قبره
في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته
وهو بيته. وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي
كان في الدنيا وهو اظهر. والثاني ان يكون له هناك منبر. والثالث ان قصد

منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويو
الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين
احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه يستحق
ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان
تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي
وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او
شفيعا يوم القيامة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها
وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا
منه وروى عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين حاجا
او معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب
في طريق اخر بعث من الامنين يوم القيامة وعن ابن عمر
من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت
بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله
امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب
من احدث حدثا ولجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ

جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكى
ان قوما اتوا سعدونا الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة
قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن
فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى
فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره
وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة
قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث
عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب
الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام
ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيامة
من الامنين قرات على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثكم
ابو العباس العذري قال نا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي
نا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر
محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفين بن عيينة قال
سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما دعا احد بشي في هذا الملتزم الا استجيب له
قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا

من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي ۞ وقال عمرو بن دينار
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا
استجيب لي ۞ وقال سفين وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي ۞ قال الحميدي وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفين الا استجيب لي ۞ وقال محمد
بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
الحميدي الا استجيب لي ۞ وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي ۞ قال ابو
اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا
وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة ۞ قال العذري وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي ۞
قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لي بعضها وان ارجوا
من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها ۞ قال القاضي ابو الفضل ذكرنا
نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل
الذي قبله حرصا على تمام الفائدة ۞ والله الموفق للصواب برحمته ۞

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز
عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه ۞ قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الاية ۞ وقال
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا
ياكلان الطعام ۞ وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق ۞ وقال قل انما انا بشر مثلكم الاية ۞ فمحمد صلى الله
عليه وسلم وساير الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق
الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم ۞ قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون
مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته ۞ وقال قل لو كان في
الارض ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ۞ اي لا يمكن
في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه
وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل ۞ فالانبياء والرسل وسايط بين الله
وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم
يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته ۞ فظواهرهم
واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرا على
البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية ۞
وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملاء الاعلى

متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغيير والآفات لا يلحقها غالبا
عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية
كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم
كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة
بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه
مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر
مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام
لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي
وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم
منزهة عن الآفات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة
لن تكتفي بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما
نأتي به بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية والكلام
في عصمة نبينا وساير الانبياء صلوات الله عليهم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان الطوارئ من التغييرات والآفات
على آحاد البشر لا تخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد

واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في
الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع
عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر
تطرأ عليهم الآفات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر
ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير
من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان
شاء الله فيما نأتي به من التفاصيل

فصل

في حكم عقد قلب النبي
من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه
بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه
فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء
من ذلك او الشك والريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين
هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في
عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى
ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له

العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته

الوجه الثاني أن ابرهيم عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفايك ❊ الوجه الثالث أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها ❊ وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ❊ ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله ❊ الوجه الرابع أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا ❊ الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية ❊ الوجه السادس أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا عليه السلام نحن أحق بالشك من ابرهيم نفي لأن يكون ابرهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا بابرهيم أي نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا أولى بالشك منه إما على طريق الأدب أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق

التواضع والإشفاق إن حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه ❊ فإن قلت فما معنى قوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتين ❊ فاحذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكر فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر ❊ فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ❊ ونحوه عن ابن جبير والحسن ❊ وحكى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل ❊ وعامة المفسرين على هذا ❊ واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك إن كنت في شك الآية ❊ قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الآية ❊ وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ❊ ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير ❊ قال بكر بن العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو إليه فكيف يكون ممن كذب به ❊ فهذا كله يدل أن المراد بالخطاب غيره ❊ ومثل هذه الآية قوله الرحمن فسئل به خبيرا ❊ المأمور ههنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل

ولا أسأل

وقال ان هذا الشك الذى امر غير النبى صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين
يقرؤون الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من
التوحيد ومثل هذا قوله تعالى واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا الاية
المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبى صلى الله عليه وسلم قاله
القتيبى وقيل المراد سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم
الكلام ثم ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار
اى ما جعلنا حكاه مكى وقيل امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء
ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروى انه قال
لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير
التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدى وقتادة والضحاك والمراد بهذا
والذى قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن فى عبادة غيره
لاحد ردا على مشركى العرب وغيرهم فى قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى
الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا
بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر فى اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما
تقدم اى قل لمن امترى يا محمد فى ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية
افغير الله ابتغى حكما الاية وان النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره

لا أشك

وقيل هو تقرير لقوله أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله
وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت فى شك فسل تزدد طمانينة وعلما
الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم
عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك وحكى عن ابى عبيدة ان المراد ان
كنت فى شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما قالته
عايشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما
استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر
المفسرين وقيل ان الضمير فى ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء
والرسل وهو قول ابن عباس والنخعى وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا
المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح ولا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما
لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد فى حديث السيرة
ومبتداء الوحى من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك
فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشى الا تحتمل قوته مقاومة
الملك واعباء الوحى فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد فى الصحيح انه
قاله بعد لقاء الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له
بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبداته المنا

يئس

والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولاً في المنام ثم
أري في اليقظة مثل ذلك تأنيساً له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة
ومشافهة فلا يحتمله لأول حالة بنية البشرية ۝ وفي الصحيح عن عائشة أول
ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم
حبب إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث ۝ وعن ابن
عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً وثمان سنين يوحى إليه ۝ وقد روى ابن إسحق عن بعضهم
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال
اقرأ فقلت ما أقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له وإقرائه اقرأ باسم
ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن
أبغض إلي من شاعر أو مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا أبداً لأعمدن
إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ
سمعت منادياً ينادي من السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت
رأسي فإذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث ۝ فقد بين في هذا
أن قوله لما قال وقصده ما قصد إنما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام
وقبل إعلام الله له بالنبوة وإظهاره اصطفاءه له بالرسالة ۝ ومثله حديث
عمرو بن شرحبيل أنه عليه السلام قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت

نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا لأمر ۝ ومن رواية حماد بن سلمة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع صوتاً وأرى ضوءاً وأخشى أن يكون
بي جنون ۝ وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الأحاديث إن الأبعد
شاعر أو مجنون وألفاظ يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان كله
في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له وإعلام الله أنه رسوله فكيف وبعض هذه
الألفاظ لا تصح طرقها ۝ وأما بعد إعلام الله (تعالى) له ولقائه الملك فلا يصح فيه
ريب ولا يجوز عليه شك فيما ألقي إليه ۝ وقد روى ابن إسحق عن شيوخه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل أن ينزل عليه فلما نزل
عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة أوجه إليك من يرقيك
قال أما الآن فلا ۝ وحديث خديجة واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها
الحديث ۝ إنما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأن الذي يأتيه ملك وتزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
وليختبر هو حاله بذلك ۝ بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة
عن هشام عن أبيه عن عائشة أن ورقة أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك ۝ وفي
حديث إسمعيل بن أبي حكيم أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل
تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل أخبرها فقا(لت)
له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره ۝ وفيه فقالت ما هذا بشيطان

هذا الملك يا ابن عمرو فاثبت وابشر وآمنت به ۞ فهذا يدل أنها مستثبتة بما فعلته
لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم ۞ وقول معمر في فترة
الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى
من رؤوس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا
ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ۞ ولا يعرف مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل
على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أخرجه من تكذيب من
بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث
ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن
النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر اشتد
ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل
يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن يكون
عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ۞ ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك
فيعترض به ۞ ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما
وعدهم به من العذاب ۞ وقول الله في يونس فظن أن لن نقدر عليه معناه أن
لن نضيق عليه ۞ قال مكي طمع في رحمة الله وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه

وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة ۞ وقيل نقدر عليه ما
أصابه ۞ وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد ۞ وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه
وقال ابن زيد معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام ۞ ولا يليق أن
يظن بنبي أن يجهل صفة من صفات ربه ۞ وكذلك قوله إذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم ۞ وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين
فكيف بالأنبياء ۞ وقيل مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب أو يقتلوه كما
ورد في الخبر ۞ وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله
به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج
لذلك مغاضبا ۞ وقد روي عن ابن عباس أن إرسال يونس ونبوته إنما كان
بعد أن نبذه الحوت ۞ واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا
عليه شجرة من يقطين وأرسلناه ۞ ويستدل أيضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت
وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ۞ فتكون هذه القصة
إذا قبل نبوته ۞ فإن قيل فما معنى قوله عليه السلام إنه ليغان على قلبي
فأستغفر الله كل يوم مائة مرة ۞ وفي طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة ۞
فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو ريبا وقع في قلبه عليه
السلام بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه ۞ قاله أبو عبيد

وأصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها ۞ وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس ۞ وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة في اليوم ۞ اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات ۞ وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين ۞ فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ۞ ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك ۞ هذا اولى وجوه الحديث واشهرها ۞ والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد ۞ وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه ۞ وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي ۞ وذهبت طائفة من ارباب

القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم ۞ قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار ۞ وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار ۞ قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن ۞ وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا ۞ وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله ۞ فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ۞ وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين ۞ فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه ...

[Marginal notes: زره (beside line 7); الحذر (beside line 8, marking where it belongs in the text); نوح (below the last line of the left page).]

[Marginal note, written diagonally in the lower left margin:] قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فيه ثلاثة اقوال احدها لو شاء لجمعهم على الهدى لو شاء الله ان يطبعهم لطبعهم الثاني لو شاء الله لاضطرهم الى الايمان الثالث لانزل آية ذكرهما الزجاج لو شاء لآمن كلهم فاخبر انهم ... اعانوا ... الايمان عشيته ... فقضاه

اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود
وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال انى اعظك ان تكون من الجاهلين وليس
في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف
وآية نوح قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى
لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتدا فنهاه
الله ان يسئله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب
لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من
اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا في الآية
الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب
حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب
لامة محمد اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في
القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة
قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم
شئ من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام على ذلك ان فعله
وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الآية
وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما
بلغت رسالاته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم
وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ
وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفترى
عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما
بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى
وهرون لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله وتذهب عنهم
خوف العدو والمضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا
وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا
الآية وقوله ان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك
وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم
لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم
والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم
الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل

وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من
ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه
النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق
انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من
القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ
واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل
وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول
ان قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما
امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من
ذلك تعيير الواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد
جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين
ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من
توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم قبل ففي اطباقهم
على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل
وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري

على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية
وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره
الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان
به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما
لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق
قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه
حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشبه عليك بقول ابرهيم في
الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء
النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء
والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل
معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال الزجاج
قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم
يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون ثم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم

في ضلالكم وعبادتها على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو معصوم في الأزل من
الضلال فإن قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا
أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا
الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما
كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له
ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل
كذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد أبوالا وما كانا قبل كذلك فإن
قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو
الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها قاله الطبري وقيل ووجدك بين
أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم ونحوه عن السدي
وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك فهداك إليها والضلال هاهنا التحير
ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع
به حتى هداه الله إلى الإسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق
فهداك إليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال
ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين
وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة وقيل المعنى
وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك

(في الهامش: إن عدنا في ملتكم)
(في الهامش: أي لا تعرفها)
(بلغ)

في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك
ضال فهدى أي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا
هاهنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله
إنا لنراها في ضلال مبين أي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا
في بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله وأنزلنا إليك الذكر الآية
وقيل وجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء
ولا أعلم أحدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الإيمان وكذلك في قصة
موسى عليه السلام قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من المخطئين
الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الأزهري معناه من
الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى أي ناسيا كما قال
تعالى أن تضل إحداهما فإن قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الإيمان فالجواب أن السمرقندي قال معناه ما كنت
تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان وقال
بكر القاضي نحوه قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام قال فكان
قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد
بالتكليف إيمانا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر

أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم بعد ❁ فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع أو شبيه بالموضوع ❁ وقال الدارقطني يقال ان عثمن وهم في إسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه ❁ والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله بغضت إلى الأصنام ❁ وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا ❁ وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك ❁ وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف

ابرهيم عليه السلام

فصل

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه ❁ فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ❁ ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف ❁ فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا تشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله ❁ ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة ❁

الغمر بالفتح والكسر والثواني ... الغمر لا تجربة ... والذين بعني ... لا يغتر ... للعدو ولا ... بعواقبه

اصل صح
من النبي

وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من الأنبياء إلا العلم
به ولا يجوز عليه جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده ذلك عن
وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف
الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم
ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك
على قول المحققين وعلى مقتضى حديث أم سلمة إني إنما أقضي بينكم
برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة أسرى
بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون أيضا ما يعتقده
مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى
خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله
عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولأن القول في تخطئة المجتهدين
إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل
عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم
قلبه فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان لا
يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده إما
بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله وقد كان ينتظر

الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل
عنه وبالجملة فلا يصح الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة
إليه إذ لا يصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده من ملكوت
السموات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور
الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان ويكون
مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما
أعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له
العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر
لقوله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا
تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول موسى للخضر هل أتبعك
على أن تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك
بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وقوله أسألك بكل اسم سميت به
نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل
ذي علم عليم قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم إلى الله وهذا ما
لا خفاء به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد
النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الد

جهله صح

منه صح

بينه

فصل واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس ۞ وقد
اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله قال نا ابو الفضل بن خيرون العدل
نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا اسمعيل الصفار نا عباس
الترقفي نا محمد بن يوسف نا سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا
وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي
ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم ۞ زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير ۞
وعن عائشة بمعناه ۞ روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم
هذه الرواية ورجحها ۞ وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى
الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ۞ ورواه بعضهم
فاستسلم ۞ قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه
وقرينه المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر
على الدنو منه ۞ وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة
في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه
فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم
واسره ۞ ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه السلام ان الشيطان عرض لي

قال عبد الرزاق في صورة هر ۞ فشد علي يقطع علي الصلاة فامكنني الله
منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه
فذكرت قول اخي سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا
وفي حديث ابي الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس جاءني بشهاب
من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ۞ وذكر تعوذه
بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه ۞ وذكر نحوه ۞ وقال لاصبح موثقا يتلاعب
به ولدان اهل المدينة ۞ وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة
نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ۞ ذكره في الموطا ۞ ولما لم يقدر على اذاه
بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ۞ ومرة اخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك ۞ وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان
الآية ۞ ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة ۞ وكل هذا فقد كفاه الله امره
وعصمه ضره وشره ۞ وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من
لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب ۞
وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات
الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي ۞ فان قيل فما
معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية

فقد قال بعض المفسرين انما راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين
ثم قال واما ينزغنك اى يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم
فاستعذ بالله ❀ وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي ❀ وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى
الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام
الشيطان من اغرايه به وخواطر ادانى وساوسه مالم يجعل له سبيل اليه
ان يستعيذ منه فيلقى امره ويكون سبب تمام عصمته اذلم يسلط عليه
باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه ❀ وقد قيل في هذه الاية
غير هذا ❀ وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس
عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها ❀ والاعتماد في ذلك دليل المعجزة
بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله
حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه لتتم
كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ❀ فان قيل فما معنى قوله
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في
امنيته الاية ❀ فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل
والوعث والسمين والغث ❀ واولى ما يقال ما عليه الجمهور من المفسرين
ان التمني ههنا التلاوة والقا الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار
شغله

فيها

من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل
غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخ
ويكشف لبسه ويحكم اياته ❀ وسياتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا
ان شاء الله ❀ وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان على
ملك سليمن وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح ❀ وقد ذكرنا قصة سليمن
مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له ❀ وقال ابو
محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب ❀
انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر
في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم ❀ قال مكي
وقيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله ❀ فان قلت فما معنى
قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي
ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل
الشيطان ❀ فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر
كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى
كانه رؤس الشياطين ❀ وقال صلى الله عليه فليقاتله فانما هو شيطان وايضا
فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة

مثو

مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروى انه انما نبئ
بعد موت موسى عليه السلام وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته
بدليل القران وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون
في قوله انساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه
احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه
السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف
ويوشع بوساوس ونزغ وانما بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكرهما
من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد به
شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى
ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل
يهديه كما يهدا الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك
الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان
هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل
مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل واما اقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة
المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه

من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا او عمدا ولا غلطا او سهوا
اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله
صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة
الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني ومن
قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة
النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه
لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن
غرض الكتاب ولنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه
اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى
والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت
يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم
فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه
بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ
عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره
عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم
ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول

بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح أن
يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان فلو جوزنا
الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل فالمعجزة
مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله أبو إسحق **فصل** وقد
توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من أن النبي صلى الله عليه
وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية إن
شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة
ترتجى فلما ختم السورة سجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على

سجد

آلهتهم وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي صلى
الله عليه وسلم كان تمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي
رواية أخرى أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن
جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين
فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تسلية له وما أرسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية فاعلم
أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما

في توهين أصله والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا
حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل
وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون
من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد
بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف
نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل
يقول إنه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة
وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر
يقول إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على
جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه
وسلم قرأها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا نزلت إلى غير ذلك من
اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم
يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية
والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما
أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة
قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد

وَغَيْرِهِ يُرْسِلُهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَإِنَّمَا يُعْرَفُ عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ
عَبَّاسٍ ۞ فَقَدْ بَيَّنَ لَكَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ مِنْ طَرِيقٍ يَجُوزُ ذِكْرُهُ سِوَى
هَذَا ٥ وَفِيهِ مِنَ الضَّعْفِ مَا نَبَّهَ عَلَيْهِ مَعَ وُقُوعِ الشَّكِّ فِيهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ الَّذِي لَا
يُوثَقُ بِهِ وَلَا حَقِيقَةَ مَعَهُ ۞ وَأَمَّا حَدِيثُ الْكَلْبِيِّ فَمِمَّا لَا تَجُوزُ الرِّوَايَةُ عَنْهُ
وَلَا ذِكْرُهُ لِقُوَّةِ ضَعْفِهِ وَكَذِبِهِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْبَزَّارُ رَحِمَهُ اللهُ ۞ وَالَّذِي مِنْهُ
فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ وَالنَّجْمِ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ
وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ ۞ هَذَا تَوْهِينُهُ مِنْ طَرِيقِ النَّقْلِ ۞ فَأَمَّا مِنْ جِهَةِ
الْمَعْنَى فَقَدْ قَامَتِ الْحُجَّةُ وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى عِصْمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَنَزَاهَتِهِ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الرَّذِيلَةِ إِمَّا مِنْ تَمَنِّيهِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا
مِنْ مَدْحِ آلِهَةٍ غَيْرِ اللهِ وَهُوَ كُفْرٌ أَوْ أَنْ يَتَسَوَّرَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَيُشَبِّهَ
عَلَيْهِ الْقُرْآنَ حَتَّى يَجْعَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ وَيَعْتَقِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْهُ حَتَّى يُنَبِّهَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَذَلِكَ كُلُّهُ مُمْتَنِعٌ
فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ يَقُولَ ذَلِكَ النَّبِيُّ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ عَمْدًا وَذَلِكَ كُفْرٌ
أَوْ سَهْوًا وَهُوَ مَعْصُومٌ مِنْ هَذَا كُلِّهِ ۞ وَقَدْ قَرَّرْنَا بِالْبُرْهَانِ وَالْإِجْمَاعِ
عِصْمَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ جَرَيَانِ الْكُفْرِ عَلَى قَلْبِهِ أَوْ لِسَانِهِ لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا
أَوْ أَنْ يَتَشَبَّهَ عَلَيْهِ مَا يُلْقِيهِ الْمَلَكُ مِمَّا يُلْقِي الشَّيْطَانُ أَوْ يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ
إِلَيْهِ سَبِيلٌ ٥ أَوْ أَنْ يَتَقَوَّلَ عَلَى اللهِ لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا مَا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى

حتى

وقال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير في سبب نزول هذه الاية
اربعة اقوال احدها ما اوردنا من الواحدي وهو الاشهر
الثاني ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا نكف عنك الا ان
تلم بالهتنا ولو بطرف اصابعك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما علي
في هذا والله يعلم اني له كاره فنزلت هذه الاية وهذا باطل لا يجوز
ان يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ما ذكر عن عطية من انه هم ان
ينظر اليهم ثم نسلم ونكسر اصنامنا فهم ان يوجلهم وكل ذلك محال
باطل في حقه صلى الله عليه وسلم الثالث ان قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة الى الصباح يكلمونه ويفخمونه ويقولون انت سيدنا وابن
سيدنا وما زالوا به حتى كاد ان يقاربهم في بعض ما يريدون ثم
عصمه الله من ذلك ونزلت هذه الاية قاله قتادة الرابع انهم
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اطرد عنك سقاط الناس ومواليهم
وهولاء الذين رايحتهم رايحة الضان وذلك انهم كانوا يلبسون
الصوف حتى نجالسك ونستمع منك فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يفعل ما يستدعي به اسلامهم فنزلت هذه الاية حكاه الزجاج ٥
والاول اصح واشهر ٥

ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقال اذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات الآية ❊ ووجه ثانٍ وهو استحالة هذه القصة نظرًا وعرفًا وذلك
أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج
المدح بالذم متخالف التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا
لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة
فصيح الكلام علمه ❊ ووجه ثالث أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي
المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط
العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم
الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ❊
ولم يحك أحد في هذه القصة شيئًا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان
ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة
كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة ❊
وكذلك ما روى في قصة القضية ٥ ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت
ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت ❊ فما روي عن
معاند فيها كلمة ولا عن مسلم فيها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث
أصلها ❊ ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث

على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ❊ وجه رابع ذكر الرواة
لهذه القصة أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين ٭ وهاتان الآيتان
تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري
وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه أن الله عصمه من
أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم
الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال عليه السلام
افتريت على الله وقلت ما لم يقل ٭ وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث
لو صح فكيف ولا صحة له ❊ وهذا مثل قوله في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك
من شيء ❊ وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون ٭ قال الله تعالى
يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب ❊ وأكاد أخفيها ولم يفعل ❊
قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه
إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل ❊ قال ابن الأنباري
ما قارب الرسول ولا ركن ❊ وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه
من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق في الآية إلا أن الله امتن
على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ❊ ومرادنا
من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية ❊ وأما

المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته
ولكن على كل حال فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث
والسمين ❊ فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته
سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم ❊ وهذا
لا يصح إذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا
يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد
والسهو ❊ وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه ❊ وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها
فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان ❊ وكل هذا لا يصح أن يقوله عليه السلام
لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه ❊ وقيل لعل النبي صلى الله
عليه وسلم قاله أثناء قراءته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم
هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا ٭ بعد السكت وبيان
الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته ❊ وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر ❊ ولا
يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام فيها قبل غير ممنوع
والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل

الا تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيتمكن ترصد الشيطان لتلك
السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه
وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما
انزلها الله وتحققهم من حال النبي في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد
حكى محمد بن موسى في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى
الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله
عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا
يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي
يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى
الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو
قول الكلبي في الآية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه
وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما
يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من
القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو
بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو

موسى عقبة

وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة
العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى
وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة
انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات
الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى
فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله
المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه
في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة
تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القرآن
ورفعت تلاوته وكان في انزال الله لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به
من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له
قلوبهم الآية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة
وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي
بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي
صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا

صح للتلبيس

القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله
لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما
ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ
القرآن واحكم آياته ودفع ما لبس به العدو وكما ضمنه تعالى من
قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روي من قصة يونس
عليه السلام انه وعد قومه العذاب من ربه فلما تابوا كشف
عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا
فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان
يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك
والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب
مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب
وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي الاية وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله
قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب
القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش

فقال اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او
عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث فيقول له النبي صلى
الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت
ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف
شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه
وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له
فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق
بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا
اذ هي حكاية عن من ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم
فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسله ما هو اعظم من هذا
والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت
من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين
ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون ولو كانت
صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه
ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم
القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له

علم حليم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه
او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان
ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب
على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف
اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا
يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة ۞ وكذلك قوله عليه
السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان
وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احديهما وتوصل
الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله
عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من
ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ۝ وهذه
قراءة الجمهور وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف ۞
وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما جميعا الجمهور
وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقضي
الحق ويقص الحق ۞ وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه
وسلم غلطا ولا وهما ۞ وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه

عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في
ذلك كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ ۞ واما ما
ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام
ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه
فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال
رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ۞ ودليل ذلك اتفاق
السلف واجماعهم عليه ۞ وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرة
الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت
وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا
استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ۞ ولما احتج ابن ابي
الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه
وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت
من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله
وايضا فان آثاره واخباره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها
ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه
بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام

رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا
وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا أحلف على يمين
فأرى خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله
إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر
كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله مع
أشباهها وأيضا فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف
ما هو على أي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله
في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف
بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وأيضا فإن
تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع
مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه
فيما يستبشع ويشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك وأما
فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في
الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره
سهوه وعمده إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق
ما جاء النبي به وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض
للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه

من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز
ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم
الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك
كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال
أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في
صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل
على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه
في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه

فصل

السهو ع

فإن قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث الذي حدثنا به الفقيه أبو
إسحق إبراهيم بن جعفر قال نا القاضي أبو الأصبغ بن سهل قال نا حاتم بن محمد نا أبو عبد
الله

ابن الفخار نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان
مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت
الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي
الرواية الأخرى ما قصرت الصلاة ولا نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي

وما

الحالتين وأنهما لم تكن وقد كان أحد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك
يا رسول الله فاعلم وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها

بصدد الإنصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها أنا أقول
أما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو
الذي زيفنا من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه في هذا عامد لصورة النسيان ليسن
فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد
هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب
عنه نذكره في موضعه إن شاء الله وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال
وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة
منها أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره أما إنكار القصر
فحق وصدق باطنا وظاهرا وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن
اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم
ينطق به وهذا صدق أيضا ووجه ثان أن قوله ولم أنس راجع إلى السلام
أي أني سلمت قصدا وسهوت عن العدد أي لم أسه في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو أبعدها ما ذهب إليه
بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر
والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الأخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لأئمتنا

وكل من هذه الوجوه يحتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والذي أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه
الوجوه كلها أن قوله لم أنس إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على
غيره بقوله بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نُسّي
وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست أنسى ولكن أُنسّى فلما قال
له السائل أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل
نفسه وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نُسّي حتى سأل غيره فتحقق أنه نُسّي
وأجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر وكل ذلك لم
يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نُسّي ووجه آخر استثرته
من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان غفلة
وآفة والسهو إنما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في
صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما
قصرت ولا نسيت خلف في قول وأما قصة كلمات إبرهيم عليه
السلام المذكورة في الحديث أنها كذباته الثلاث المنصوصة في
القرآن منها اثنتان قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن

زوجته انها اختي ۞ فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا
في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن
الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي ان كل
مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم لعيدهم بهذا ۞ وقيل
بل سقيم بما قدر علي من الموت ۞ وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم
وعنادكم ۞ وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر
بعادته ۞ وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق ۞ وقيل بل عرض
بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا
يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم
ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا
بيانه ۞ واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه
كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه ۞ وهذا صدق
ايضا ولا خلف فيه ۞ واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك
اختي في الاسلام ۞ وهو صدق ۞ والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة
فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال

لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته
فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن
الا هذه الكلمات ۞ ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلم
من مؤاخذته بها ۞ واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها ۞ فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا
يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر
والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او
وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر
يدخله الخلف ۞ فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل
اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم
اليه الحديث ۞ وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك ۞ وهذا
خبر قد انبأ الله انه ليس كذلك ۞ فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض
طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك ۞ واذا كان
جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة ۞ وعلى الطريق
الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة
والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه
صدقا لا خلف فيه ۞ وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظايف

النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر
اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه
كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم
وهو اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما
وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم
اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك
والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته
من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر
والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذايل الانبيا فغيرهم
بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى
لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد
علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القايلين
بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي
واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل
انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي آخر
وهذا يضعف لانه ما علمنا كان في زمن موسى نبي غيره الا اخاه هرون وما
نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس

على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة
خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر
اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا
للتعليم **فصل** واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا تخرج من
جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد
بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون
على عصمة الانبياء من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور في ذلك
الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل
مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا
خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان
كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما
الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب
ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد
بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل
لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت
طايفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير
كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير

واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة
وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري تعالى
في اي امر كان يجب كونه كبيرة ۞ قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب
لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب
الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها
شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله ۞ وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة
ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقهاء ۞ وقال بعض ايمتنا ولا يجب على
القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها
ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة
واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا اجماعا
لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب
عنه والانبيا منزهون عن ذلك ۞ بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح
فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر ۞ وقد
ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا ۞ وقد استدل
بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع
آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك
والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم

وان اختلفوا في حكم ذلك ۞ وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام
ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية ۞ واكثر الشافعية على ان ذلك
ندب ۞ وذهبت طايفة الى الاباحة ۞ وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور
الدينية وعلم به مقصد القربة ۞ ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد
قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس
كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية
ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم
الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ۞ ونزيد هذا حجة بان نقول
من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون انه لا يقر على
منكر من قول او فعل وانه متى راى شيا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على
جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم تجوز وقوعه منه في نفسه ۞ وعلى
هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب
على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه ۞ وايضا فقد علم
من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت
وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا
نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضا حاجته

مستقبلاً بيت المقدس ❁ واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة
او العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ❁ وقال هلا اخبرتها
اني اقبل وانا صايم ❁ وقالت عايشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم ❁ وغضب صلى الله عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال
يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده ❁ والآثار
في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله
واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم
وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه ❁
واما المباحات فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها
وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة
وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق هممهم بالله والدار
الآخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم
وصلاح دينهم وضرورة دنياهم ❁ وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار
قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه السلام ❁ فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير انبيايه عليهم السلام بان جعل افعالهم
قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل** ❁
وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون ❁

والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم مما يوجب الريب
فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد
تقرر الشرع ❁ وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى
اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا
قول الجمهور ❁ فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينيذ
اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ❁ ثم
اختلفت حجج القايلين بهذه المقالة عليها ❁ فذهب سيف السنة ومقتدى
فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق
السمع ❁ وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان
من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا
به عليه ولم يوثر شيء من ذلك جملة ❁ وذهبت طايفة الى امتناع ذلك
عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا ❁ وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة ❁ واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي
ابي بكر اولى واظهر ❁ وقالت فرقة اخرى بالوقوف في حقه عليه السلم وترك
قطع الحكم عليه بشيء في ذلك ❁ اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها
في احدهما طريق النقل ❁ وهو مذهب ابي المعالي ❁ وقالت فرقة ثالثة انه كان
عاملا بشرع من قبله ❁ ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا ❁ فتوقف بعضهم

ن

اصلح
أمره

عن تعيينه وأبهم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والأظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر
وأبعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف
جملة ولا حجة لهم في ان عيسى آخر الأنبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ
لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا
لنبينا عليه السلام ولا حجة أيضا للآخر في قوله تعالى ان اتبع ملة
ابرهيم حنيفا وللآخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الاية
على اتباعهم في التوحيد كقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد
سمى تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب
على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه
الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه
من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع
هذا القول في ساير الأنبياء غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع
عقلا فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فأينما تصور له
وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى أصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله
يلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة

فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف
وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فأحوال الأ
نبياء
في ترك المواخذة به وكونه ليس معصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على
نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الامة
بالفعل وأخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه
أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب
وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام وعصمته
من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز
طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء
وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا
عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق
وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام
الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في
الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق
في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا
قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه
السلام

إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني. نعم بل حالة النسيان
والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب إفادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
إني لأنسى أو أنسى لأسن. بل قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن. وهذه الحالة
زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن
فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون
عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح. وقبل انقراضهم على
قول الآخرين. وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله عليه السلام
وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من
طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات
والغفلات بقلبه. وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة
الأهل وملاحظة الأعداء. ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على
سبيل الندور كما قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله. وليس في هذا
شيء يحط من رتبته و[illegible]ض معجزته. وذهبت طائفة إلى منع السهو
والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام جملة. وهو مذهب
جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات. ولهم في هذه الأحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله.

فصل في الكلام على الأحاديث المذكور
فيها السهو منه عليه السلام. وقد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو
عليه السلام وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا
وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد
في ذلك ونحن نبسط القول فيه. الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه
عليه السلام في الصلاة ثلاثة أحاديث. أولها حديث ذي اليدين في السلام
من اثنتين. الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين. الثالث حديث
ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا. وهذه الأحاديث
مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه. وحكمة الله فيه ليستن به إذ البلاغ
بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال. وشرطه أنه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به
ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه. وأن النسيان والسهو
في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق. وقد
قال عليه السلام إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني. وقال
رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن. ويروى أنسيتهن.
وقال عليه السلام إني لأنسى أو أنسى لأسن. قيل هذا اللفظ شك من الراوي.
وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن. وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار
أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله. قال القاضي
أبو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه أن يريد إني أنسى في اليقظة وأنسى في
النوم. أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو أو أنسى

مع اقباله عليه وتفرغه له • فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض
السبب فيه • ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر • وذهبت
طايفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو في الصلاة ولا ينسى • لان النسيان ذهول وغفلة وآفة • قالوا والنبي
صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في
صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها •
واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى • وذهبت طايفة الى منع هذا
كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن • وهذا
قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطايل لانه كيف يكون
متعمدا ساهيا في حال • ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة
النسيان ليسن لقوله اني لانسى او انسى لاسن • وقد اثبت احد الوصفين
ونفى مناقضة التعمد والقصد • وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون •
وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ايمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني •
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه • ولا حجة لها بين الطايفتين
في قوله اني لا انسى ولكن انسى • اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة
وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بيسما لاحدكم ان يقول
نسيت آية كذا ولكنه نسي • او نفي الغفلة وقلة الاهتمام

بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك
الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها
فشغل بطاعة عن طاعة • وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشاء • وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير
الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادايها الى وقت الامن • وهو مذهب
الشاميين • والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له •
فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد قال
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي • فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها
ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد
يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته • ويصحح هذا التاويل
قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا • وقول بلال فيه
ما القيت على نومة مثلها قط • ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده
الله عز وجل من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع • وكما قال في الحديث
الاخر لو شا الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم • الثاني ان قلبه لا
يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه
كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا • وحديث ابن عباس
المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج

به على وضوء بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث آخر
فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم أقيمت الصلاة فصلى
ولم يتوضأ، وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في النوم، وليس في قصة
الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس، وليس هذا من فعل القلب، وقد
قال عليه السلام إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا،
فإن قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح،
فقيل في الجواب إنه كان من شأنه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة
أول الفجر لا يصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة
فوكل بلالا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن
مراعاته، فإن قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد
قال عليه السلام إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني، وقال لقد أذكرني
كذا وكذا آية كنت أنسيتها، فاعلم أكرمك الله أنه لا تعارض في
هذه الألفاظ، أما نهيه عن أن يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ فعله
من القرآن أي أن الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره إليها
ليمحو الله ما يشاء ويثبت، وما كان من سهو أو غفلة من قبله تذكرها
صلح أن يقال فيه أنسي، وقد قيل إن هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق
الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب

العبد فيه، وإسقاطه عليه السلام لما أسقط من هذه الآيات جائز عليه
بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم يستذكرها من أمته
أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله سبحانه نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره، وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه سبيله كرة
ويجوز أن ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما
لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله
كتابه وتكليفه بلاغه. **فصل** في الرد على من أجاز عليهم الصغائر
والكلام على ما احتجوا به في ذلك، اعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء
من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر
وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها
للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك، فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير إلى ما صح، وها نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله،
فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تأخر، وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين

بلغ

على ذلك

والمؤمنات ۝ وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ۝ وقوله
عفا الله عنك لم أذنت لهم ۝ وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
أخذتم عذاب عظيم ۝ وقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآية ۝
وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى ۝ وقوله
فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية ۝ وقوله عنه ربنا ظلمنا أنفسنا
الآية ۝ وقوله عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين ۝ وما ذكر من
قصته وقصة داود ۝ وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر
راكعا وأناب إلى قوله مآب ۝ وقوله ولقد همت به وهم بها ۝ وما قص
من قصته مع إخوته ۝ وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال
هذا من عمل الشيطان ۝ وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي
ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت ۝ ونحوه من أدعيته عليه السلام
وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة ۝ وقوله إنه ليغان
على قلبي فأستغفر الله ۝ وفي حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب
إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ۝ وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي الآية
وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ۝ وقال عن
إبرهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ۝ وقوله عن موسى
تبت إليك ۝ وقوله ولقد فتنا سليمن ۝ إلى ما أشبه هذه الظواهر ۝ فأما احتجاجهم

بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه
المفسرون ۝ فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها ۝ وقيل المراد ما وقع
لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له ۝ وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر
عصمتك بعدها ۝ حكاه أحمد بن نصر ۝ وقيل المراد بذلك أمته عليه السلام ۝
وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل ۝ حكاه الطبري واختاره
القشيري ۝ وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك ۝ حكاه
السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء ۝ وبمثله والذي قبله يتأول قوله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ۝ قال مكي مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لأمته ۝ وقيل إن النبي صلى الله
عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله من ذنبك وما تأخر الآية ۝ وبمآل المؤمنين
في الآية الأخرى بعدها ۝ قاله ابن عباس ۝ فمقصد الآية إنك مغفور
لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان ۝ قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من
العيوب ۝ وأما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة ۝ وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة ۝ وقيل
معناه أنه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره ۝
حكى معناه السمرقندي ۝ وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة

ما تقدم

حتى بلغهما، حكاه الماوردي والسلمي. وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية
حكاه مكي. وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك
حكى معناه القشيري. وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما
استحفظت وحفظ عليك. ومعنى أنقض أي كاد ينقضه. فيكون المعنى
على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم
بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت
عليه وأشفق منها، أو يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب
لو كانت لأنقضت ظهره. أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل
قلبه من أمور الجاهلية وإعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من
وحيه. وأما قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فأمر لم يتقدم
للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده
الله عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب — تعالى
الى ذلك. قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين.
قالوا وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله له فأذن لمن شئت منهم. فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه
من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل.
وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله

لكم عن صدقة الخيل والرقيق، ولم تجب عليهم قط، أي لم يلزمكم ذلك
ونحوه للقشيري. قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف
كلام العرب. قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا. قال الداودي — ي
روي أنها تكرمة. قال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله
وأعزك. وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله. وأما قوله في أسارى
بدر ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيتين، فليس فيه إلزام ذنب للنبي
صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الأنبياء فكأنه
قال ما كان هذا لنبي قبلك (غيرك — صح) كما قال عليه السلام أحلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي. فإن قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا
الآية. قيل المعني بالخطاب لمن أراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي عليه السلام ولا علية أصحابه
بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر أن يعطف عليهم
العدو. ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق. فاختلف المفسرون في معنى الآية
فقيل معناها لولا أنه سبق مني أن لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية. وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن — ن
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد

هذا القول تفسيرًا وبيانًا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن
أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى ۞ وقيل لولا أنه سبق في
اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم ۞ فهذا كله ينفي الذنب والمعصية
لأن من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ۞
وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك ۞ وقد روي عن علي رضي الله عنه
قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير
أصحابك في الأسارى إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل منهم عام المقبل
مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا ۞ وهذا دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم
يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى أضعف الوجهين مما كان الأصلح
غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم ۞ وكلهم غير عصاة ولا مذنبين ۞ والى نحو هذا
أشار الطبري ۞ وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب
ما نجا منه إلا عمر ۞ إشارة الى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه
في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله ۞ وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله
لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق ۞ وقال الداودي والخبر
بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم

حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الأمر اليه فيه وقد نزهه الله عن
ذلك ۞ وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر الله نبيه في هذه الآية أن تأويله
وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفداء ۞ وقد كان قبل هذا فادى في
سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه
فما عتب الله عليهم ذلك وذلك قبل بدر بأزيد من عام ۞ فهذا كله يدل على أن فعل
النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما
تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر
وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في
اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار أو تذنيب ۞ هذا
معنى كلامه ۞ وأما قوله عبس وتولى الآيات فليس فيه إثبات ذنب له عليه السلام
بل إعلام الله أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو
كشف له حال الرجلين الإقبال على الأعمى ۞ وفعل النبي صلى الله عليه وسلم
لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما
شرعه الله له لا معصية ومخالفة له ۞ وما قصه الله عليه من ذلك إعلام
بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده والإشارة الى الإعراض عنه بقوله
وما عليك ألا يزكى ۞ وقيل أراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله
عليه وسلم ۞ قاله أبو تمام ۞ وأما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى

فأكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله ألم
أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه
فغوى أي جهل وقيل أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله ولقد
عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة
إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو لك ولزوجك الآية
قيل نسي ذلك بما أظهر لهما وقال ابن عباس إنما سمي الإنسان إنسانا
لأنه عهد إليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما
اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا لا يحلف
بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير
حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو
المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وأكثر المفسرين
على أن العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند أكله سكران وهذا فيه
ضعف لأن الله وصف خمر الجنة أنها لا تسكر وإذا كان ناسيا لم تكن معصية
وكذلك إذا كان ملبسا عليه غالطا إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي
عن حكم التكليف وقال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره إنه يمكن أن يكون
ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد

كان

العصيان وقيل بل أكلها متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها
لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة
من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول أن الله لم ينههما عنها نهي تحريم فإن
قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم وقال فتاب عليه وقوله
في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت فسيأتي
الجواب عنه وعن أشباهه مجملا آخر الفصل إن شاء الله وأما قصة يونس
عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب
وإنما فيه أبق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل إنما نقم الله عليه
خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب
ثم عفا الله عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا وقيل بل كانوا يقتلون
من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة وقد تقدم
الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية إلا على قول مرغوب
عنه وقوله إذ أبق إلى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد وأما قوله إني
كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه
عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه
عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه
فلم يؤاخذ وقال الواسطي معناه نزه ربه عن الظلم وأضاف الظلم إلى

نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا
اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة
وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت
الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله
بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي
نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله
فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا
التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل
انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه
شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على
خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه
الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه
والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام
وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت
ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان
في نتاج غنم على ظاهر الآية واما قصة يوسف عليه السلم واخوته
فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام

على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء قال
المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا
حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع
ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما
قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان
ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا
يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا
هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية
في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين
فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه
النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون
ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي ان النفس
الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع
والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم
عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد
همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى

عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله
انه ربي احسن مثواي الاية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل همّ
بها اي زجرها ووعظها وقيل همّ بها اي غمها امتناعه عنها وقيل
همّ بها نظر اليها وقيل همّ بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته
وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى
عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما خبر موسى
عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط
الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال
قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا
من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه
لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل
وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو
مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد
ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد
من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار

واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذ لك
ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو
ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها
وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت
فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له
فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه انه رسول الله اليه استسلم (الله رسوله صح)
وللمتقدمين وللمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي
وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن
عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام
مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان عليه السلام
وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتلينا
وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة
امراة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صا حبه
قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل
قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على

كرسيه ميتاً * وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه * وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني * وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم * وقيل أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه * ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله * وإن سئل لم لم يقل سليمن في القصة المذكورة إن شاء الله فعنه أجوبة * أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى * والثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه * وقوله هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي * لم يفعل هذا سليمن غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك * وقيل بل أراد أن تكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه * وقيل ليكون ذلك دليلاً وحجة على نبوته كالانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد بالشفاعة ونحو هذا * وأما قصة نوح عليه السلم فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى

وأهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله فبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يأذن له في السؤال فيه * وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه * وقيل في الآية غير هذا * وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه * وما روي في الصحيح من أن نبياً قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح * فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصواباً بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله * ألا ترى أن هذا النبي كان نازلاً تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه * وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاماً لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك * ولم يأت في كل هذا أمراً نهي عنه فيعصي به ولا نص

فيما أوحى الله إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم ❀ فإن قيل
فما معنى قوله عليه السلم ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا
أو كما قال عليه السلام ❀ فالجواب عنده ما تقدم من ذنوب الأنبياء التي وقعت
عن غير قصد وعن سهو وغفلة **فصل** فإن قلت فإذا نفيت عنهم صلوات
الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين
فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ❀ وما تكرر في القرآن والخبر الصحيح
من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف
منهم وإشفاقهم وهل يشفق ويستغفر ويتاب من لا شيء ❀ فاعلم
وفقنا الله وإياك أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله
وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه
جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم في تصرفهم
بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها
أو حذروا من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من
أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم
ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن
الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ❀ ومنه ذنب كل شيء أي آخره
وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم

بلغ

لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم
الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله وإعظامه في السر
والعلانية ❀ وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما
يكون بالإضافة إليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات
الأبرار سيئات المقربين ❀ أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة ❀ فعلى مقتضى اللفظة كيفما كانت من
سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك ❀ وقوله غوى أي جهل أن تلك
الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل ❀ وقيل أخطأ ما طلب من الخلود
إذ أكلها وخابت أمنيته ❀ وهذا يوسف عليه السلام قد أوخذ
بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر
ربه فلبث في السجن بضع سنين ❀ قيل أنسي يوسف ذكر الله ❀ وقيل
أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك ❀ قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا
كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث ❀ قال مالك بن دينار لما قال ذلك يوسف
قيل له اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة
البلوى ❀ وقال بعضهم يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز
عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب ❀
وقد قال محتجاً للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون

المحتج

بهذا إنما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع
فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم. فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك
المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك
في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم
له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. وقال
لداود فغفرنا له ذلك الآية. وقال بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك
على الناس. وقال بعد ذكر سليمن وإنابته فسخرنا له الريح إلى وحسن مآب.
قال بعض المتكلمين زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف
وأشار إلى نحو مما قدمناه. وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم ممن ليس
في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل
هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم. ولهذا قال صالح المري
ذكر داود بسطة للتوابين. قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة
صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام. وأيضا فيقال
لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف
بعصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة
على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها

فتنة ح

أو ح

٨

وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو
والتأويل. وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته
وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف
بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد أمن من المؤاخذة
بما تقدم وما تأخر أفلا أكون عبدا شكورا. وقال إني أخشاكم لله وأعلمكم
بما أتقي. قال الحارث بن أسد خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام
وتعبد لله لأنهم آمنون. وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم
أممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا.
وأيضا فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار إليه بعض العلماء
وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فإحداث الرسل والأنبياء الاستغفار والتوبة في كل حين استدعاء لمحبة
الله. والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد أن غفر الله
له ما تقدم وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية
وقال فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. **فصل** قد استبان
لك أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل
بالله وصفاته أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد
النبوة عقلا وإجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من أمور

والإنابة والأوبة ح

الشرع

وأداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف
القول منذ نباه الله وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك عليه
شرعا وإجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن
الكباير إجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار
الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى
وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين
وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فايدتها وخطرها فإن من
يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف
صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه
عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه
دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا
وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا
هذه أكرمكم الله إحدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا
لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم
وأن السكوت أولى وقد استبان لك أنه متعين للفايدة التي ذكرناها

وفايدة ثانية يضطر إليها في أصول الفقه ويبتني عليها مسايل من الفقه لا
تنعد ويتخلص بها من تشعيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال
النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول
الفقه ولا بد من بنايه على صدق النبي في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز
عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا وبحسب اختلافهم
في وقوع الصغاير وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم
فلا نطول به وفايدة ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف
إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف
ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا
في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح فإما أن يجترى
على سفك دم مسلم حرام أو يسقط ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم
ولسبيل هذا ما قد اختلف أرباب الأصول وأيمة العلما والمحققين في
عصمة الملايكة

فصل في القول في عصمة الملايكة أجمع
المسلمون أن الملايكة مومنون فضلا واتفق أيمة المسلمين أن حكم
المرسلين منهم حكم النبيين سوا في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم
في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم واختلفوا في غير
المرسلين منهم فذهبت طايفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا

فان
الفتوى

حقا

الله م

وافترائهم كما نصه اول الاية من افترائهم بذلك على سليمن وتكفيرهم اياه
وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما
يكشف غطا هذه الاشكالات ان شا الله فاختلف اولا في هاروت
وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل
القراة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية
او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر
وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما
نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء
يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تخيلوا بكذا
فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا
به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن
ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال
نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل
عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد
ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه
امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة
في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس

بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما
منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون وبقوله ان
الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله كرام بررة ولا يمسه
الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص
للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشيا ذكرها اهل الاخبار والتفاسير
نحن نذكرها ان شا الله بعد ونبين الوجه فيها ان شا الله والصواب
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم
عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار ان لا حاجة بالفقيه
الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء
من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة
ههنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت
وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس
في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها
شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ
بقياس والذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال
بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود

قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته الشياطين
واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل
وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله
في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان
من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا
وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود
وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل
فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل
الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم
ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا
يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من
الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من
الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر
ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة
وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض
حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد

قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما يروونه في الاخبار
ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا
فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا
اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه
وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والاسقام
وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه
لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه
وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى
واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر
وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه
الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر
وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى
واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في
النار ووشروا بالمياشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات

ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس ، فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قميئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ، ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية ، وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم ، وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن اليهم ، قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس ، وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملإ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم ، قال وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي ، وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، وقال لست أنسى ولكن أُنسّى ليستن بي ، فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه ، وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه ، وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته ، وهو عليه السلام قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك وأنه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه ،

فصل

فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه عليه السلام سحر ، كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه قال نا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد بن إسمعيل قال نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله ، وفي رواية أخرى حتى كان يخيل أنه كان يأتي النساء

اليه

ولا يأتيهن الحديث ۞ وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف
حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم
فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
فيه الملحدة وتدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها
إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره
لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه
كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته ۞ وأما ما ورد أنه
كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة
في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل
والإجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر
دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات
كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي
عنه كما كان ۞ وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله
حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن ۞ وقد قال سفيان وهذا أشد
ما يكون من السحر ۞ ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول
بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر
وتخيلات ۞ وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه

فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها
على السداد وأقواله على الصحة ۞ هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة
عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلو
يحاتهم
وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من
مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث ۞ وهو أن عبد الرزاق
قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر
يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا
فاستخرجه من البئر ۞ وروى نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب
وعمر بن الحكم ۞ وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه
ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث
قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة
سنة حتى أنكر بصره ۞ وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب
فهبط عليه ملكان وذكر القصة ۞ فقد استبان لك من مضمون هذه
الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقا

وعقله وأنه أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف
جسمه وأمرضه ❀ ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا
يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على
النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن
كما يعتري من أخذ واعترض ❀ ولعله لمثل هذا أشار سفين بقوله
وهذا أشد ما يكون من السحر ❀ ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى أنه
ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر
في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا
من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا
لشيء طرأ عليه في ميزه ❀ وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة
السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض
أنسا ❀ هذه حاله في جسمه ❀ فأما أحواله في أمور الدنيا

فصل

فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل ❀ أما
العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر
خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع كما حدثنا
أبو بحر سفين بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا نا أبو العباس
أحمد بن عمر قال نا أبو العباس الرازي نا أبو أحمد بن عمرويه نا ابن سفين

نا مسلم نا عبد الله ابن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا
نا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة نا أبو النجاشي قال نا رافع بن خديج
قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال
ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه
فنقصت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا
به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر ❀ وفي رواية أنس أنتم أعلم
بأمر دنياكم ❀ وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن
وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما
أنا بشر أخطئ وأصيب ❀ وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه
في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه وسنة سنها ❀ وكما حكى ابن إسحق أنه عليه السلم لما
نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه
الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو
الرأي والحرب والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي
أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون
فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله ❀ وقد قال الله له وشاورهم في الأمر ❀

وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الأنصار
فلما أخبروه برأيهم رجع عنه ۞ فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي
لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما
ذكرنا إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي أمور اعتيادية
يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه
وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة
مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ۞ ولكن هذا إنما يكون في
بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا
واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة ۞ وقد تواتر بالنقل عنه
عليه السلام من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة
فرق أهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا
الكتاب

فصل

وأما ما تعتقد في أمور أحكام البشر الجارية
على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المفسد من
المصلح فبهذه السبيل لقوله عليه السلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون
إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو
مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا
فإنما أقطع له قطعة من النار ۞ حدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله
نا الحسين بن محمد الحافظ نا أبو عمر نا أبو محمد نا أبو بكر نا أبو داود نا محمد بن
كثير أنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم
سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ۞ وفي رواية
الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه
صادق فأقضي له ۞ وتجري أحكامه عليه السلام على الظاهر وموجب
غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الأشبه
ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى
لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم
بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين
أو شبهة ولكن لما أمر الله أمته باتباعه والاقتداء به في
أفعاله وأحواله ومقاضاته وسيره وكان هذا لو كان مما يختص
بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك
ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما
أطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله
له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى
أحكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء
أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم

ويتعين من سنته اذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ
وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه
الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي
بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته
وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
أحدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا
يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته **فصل** وأما أقواله
الدنيوية من أخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله
فقد قدمنا أن الخلف في هذا ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو
سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله
عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز
ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته
عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته
ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة
التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لأن كل جمل

ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لأمزح ولا
أقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فأما ما بابه غير الخبر مما صورته
صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن
يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام
ما كان لنبي أن يكون له خائنة الأعين فكيف أن تكون له خيانة قلب فإن
قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي أنعم الله
عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية فاعلم أكرمك الله ولا
تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا
بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح
ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين أن الله تعالى أعلم نبيه
أن زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها اليه زيد قال له أمسك عليك زو
واتق الله وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما
الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه
عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن
الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا
قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها
ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي أخفاه

كان ع
جك
عليه السلم

مما كان أعلمه به تعالى ، وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر ،
قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله من
الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل ، أي من النبيين فيما
أحل لهم ، ولو كان على ما روي من حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي
صلى الله عليه وسلم عندما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه
أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة
الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء
فكيف سيد الأنبياء ، قال القشيري وهذا إقدام عظيم من قايله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته
وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه
السلام وهو زوجها لزيد ، وإنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي
صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال ما كان
محمد أبا أحد من رجالكم ، وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
ونحوه لابن فورك ، وقال أبو الليث السمرقندي فإن قيل فما الفائدة
في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها فهو أن الله أعلم نبيه أنها
زوجته فنهاه النبي عن طلاقها إذ لم تكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه

ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره
الله بزواجها ليباح لأمته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في أزواج أدعيائهم ، وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة
ورداً للنفس عن هواها ، وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة فاستحسنها
ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه الحسن ، ونظرة
الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيداً بإمساكها وإنما تنكر تلك
الزيادات التي في القصة ، والتعويل والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين
وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري ،
وعليه عول أبو بكر بن فورك ، وقال إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل
التفسير ، قال والنبي عليه السلام منزه عن استعمال النفاق في ذلك وإظهار
خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له ، قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقد أخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وإنما معناه الاستحياء
أي تستحيي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه ، وأن خشيته عليه السلام
من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين
بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان
فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله لهم كما عتبه

على مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما أحل الله لك
الآية كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ۞ وقد روى
عن الحسن وعايشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه
الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه **فصل** فإن قلت قد تقررت
عصمته عليه السلام في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها
خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد
ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام
الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال نا القاضي
أبو الوليد قال نا أبو ذر نا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحق قالوا نا محمد بن
يوسف نا محمد بن إسمعيل قال نا علي بن عبد الله نا عبد الرزاق أنا معمر
عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما حضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث ۞ وفي
رواية آيتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا
فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير ۞
وفي بعض طرقه إن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر ۞ وفي رواية هجر ۞

ويروى أهجر ۞ ويروى أهجرا ۞ وفيه فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم
قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ۞ وكثر اللغط فقال
قوموا عني ۞ وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من
يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول
ما قال عمر ۞ قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي
ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما
يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال
في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه
هذى يقال هجر هجرا إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية
هجر ۞ وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب
وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في
حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة ۞ وكذا
ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق ۞ وكذا رويناه
عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره ۞ وقد يحمل عليه رواية من رواه
هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل
هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول

صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه
عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه
وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر
كما حملهم الإشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا
وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن
جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده
صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم باختلافكم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر
بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب فقال
بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها
بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا أنه
لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال
استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب
رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي
صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه
مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع

وقيل خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة
ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر
وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع
وتأسيس الملة وأن الله قال اليوم أكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام
أوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا
على أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل إن عمر خشي تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل إنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم
لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا
تركه وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه
بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها
واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله
لا أفعل الحديث واستدل بقوله دعوني فإن الذي أنا فيه أي الذي أنا فيه
خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر
أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك **فصل** فإن قيل

فما وجه حديثه أيضاً الذي حدثنا به الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه
نا أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي قال نا ابرهيم
ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم
مولى النصريين قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك
عهداً لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له
كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيمة • وفي رواية فأيما أحد دعوت
عليه دعوة • في رواية ليس لها بأهل • وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته
أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة • وكيف يصح أن
يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب
ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من
هذا كله • فاعلم شرح الله صدرك أن قوله أولاً ليس لها بأهل أي عندك يا رب
في باطن أمره فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها
فحكم عليه السلم بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال
ظاهره ثم دعا عليه السلم لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي
وصفه الله بها وحذره أن يتقبل فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه
وفعله له رحمة وهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه عليه السلم يحمله الغضب

ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم • وهذا المعنى صحيح
ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب
بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه
وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه
أو العفو عنه • وقد يحتمل أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف
والحذر من تعدي حدود الله • وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعوا
على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب
وليس المراد بها الإجابة كقوله تربت يمينك ولا أشبع الله بطنك وعقرى
حلقى وغيرها من دعواته • وقد ورد في صفته في غير حديث أنه عليه السلم
لم يكن فحاشاً • وقال أنس لم يكن سباباً ولا فاحشاً ولا لعاناً وكان يقول
لأحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه • فيكون حمل الحديث على هذا
المعنى ثم أشفق عليه السلام من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه
كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة • وقد يكون
ذلك إشفاقاً على المدعو عليه وتأنيساً له لئلا يلحقه من استشعار الخوف
والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس
والقنوط • وقد يكون ذلك سؤالاً منه لربه لمن جلده أو سبه على حق
وبوجه صحيح أن يجعل ذلك كفارة له لما أصاب وتمحية لما اجترم وأن تكون

عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن أصاب
من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارته ❊ فإن قلت فما معنى حديث الزبير
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج
الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم
احبس حتى يبلغ الجدر الحديث ❊ فالجواب أن النبي صلى الله عليه
وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة أمر يريب ولكنه صلى الله
عليه وسلم ندب الزبير أولا إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط
والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله
عليه وسلم للزبير حقه ❊ ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب
إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم ❊ وذكر في آخر الحديث فاستوعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه ❊ وقد جعل
المسلمون هذا الحديث أصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي
وهو غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما
معصوما ❊ وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى
لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح ❊ وكذلك الحديث في إقادته عكاشة

من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن
عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا أدري أعمدا أم أردت ضرب
الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك يا عكاشة أن يتعمدك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ وكذلك في حديثه الآخر مع الأعرابي حين
طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي قد عفوت عنك وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد
أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى
فضربه بعد ثلاث مرات ❊ وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه
صواب وموضع أدب لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه من
الأمر حتى عفا عنه ❊ وأما حديث سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني
فأوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه ❊ إنما ضربه النبي
صلى الله عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه
فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه
فصل وأما أفعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من
توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط
في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الند

ور

إذ عامة أفعاله على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية
مجرى العبادات والقرب على ما بينا إذ كان عليه السلام لا يأخذ
منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته
التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه
وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام
حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد
وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان
يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد للأمور
أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة ويركب
البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها
ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر أحواله بحسب
اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة
لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيرا منه كما
يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الأمور
الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد
وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم
مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن يقول

الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد
إبراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة
في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد
إبراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من
أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من
أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو
رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من شرار الناس من اتقاه الناس
لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين ربه ويتولى في
منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه
شيء من أطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه
بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد
وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا
يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين فإن
قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل
ألان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر الناس
من اتقاه الناس لشره وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول

في ظهره ما قال ۶ والجواب أن فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله
وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه
ويراه مثله فينجذب الى الاسلام ۶ ومثل هذا على هذا الوجه قد
خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية ۶ وقد ان يستالفهم
باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة ۶ قال صفوان لقد اعطاني
وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي ۶
وقوله فيه بيس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه
لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان
مطاعا متبوعا ۶ ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة
بل كان جايزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح
الرواة والمزكين في الشهود ۶ فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث
بريرة من قوله عليه السلام لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا
بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم
الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست
في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ۶ والنبي صلى الله عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من
عايشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم

بني اهل الكوفة ما يرضون
بامير ولا يرضى بهم امير
اى ضاقت على الحجاز فامرهم
وصعب على مداراتهم ومنه
حديث الاخر م من الحاشية

وهو قد حرم الغش والخديعة ۶ فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في
اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال
الله تعالى اوليك لهم اللعنة وقال وان اساتم فلها ۶ فعلى هذا اشترطي عليهم
الولاء لك ۶ ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لهم من شرط
الولاء لانفسهم قبل ذلك ۶ ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطي
لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه
لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال
اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع ۶ والى هذا ذهب الداودي
وغيره ۶ وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل
على علمهم به قبل هذا ۶ الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء
اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق
ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما
تقدم منه فيه ۶ فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل
السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله
انكم لسارقون ولم يسرقوا ۶ فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل

يوسف كان عن أمر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله الآية فإذا كان ذلك فلا اعتراض بما كان فيه ما فيه ❊ وأيضًا فإن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس ❊ فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك ❊ وأما قوله أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله إن حسن له التأويل كائنًا من كان ظن على صورة الحال ذلك ❊ وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له ❊ وقيل غير هذا ❊ ولا يلزم أن نقول الأنبياء ما لم يأت أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم

فصل فإن قيل فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وإبرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه ❊ فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم أحسن عملا وليعلم الذين آمنوا منكم ويعلم الصابرين ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم

هكذا وجد في الاصل والنسخ بخط المؤلف

ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وهو الصواب

فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد البصائر لهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتسلية في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ويمحو الهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل ❊ حدثنا القاضي أبو علي الحافظ نا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا نا أبو يعلى البغدادي قال نا أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا أبو عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة ❊ وكما قال تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث ❊ وعن أبي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة ❊ وعن أنس عنه عليه السلام إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ❊ وفي حديث آخر إذا أحب الله عبدًا ابتلاه ليسمع تضرعه ❊ وحكى السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله تعالى كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب

الثواب كما روي عن لقمان أنه قال يا بني الذهب والفضة تختبران بالنار
والمؤمن تختبر بالبلاء وقد حكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه
التفاته في صلوته اليه ويوسف نايم محبة له وقيل بل اجتمع
يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان
لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز بمابه
وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا
على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك
كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الامر كان مفطرا فليتغد
عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروى
عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في
ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله
ببلايه ومحنة سليمن لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره
او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده ومنه فايدة شدة المرض
والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عايشة ما رايت الوجع على احد
اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت
النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك
لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم

قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي
سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما
اطيق اضع يدي عليك من شدة حمى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله
وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء
وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله
اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط
وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى
بمصايب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عايشة وابي
ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا
يصب منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا
يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب
المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة
يشاكها الا كفر الله بها خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم
يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر
وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع
عليها وشدتها عند وفاتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها

(مرض)

عند قبضهم ويخفف عليهم مؤونة النزع وشدة السكرات بتقدم
المرض وضعف الجسم والنفس لذلك لا خلاف في موت الفجأة وأخذه
كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة
والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح
هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة من حيث أتتها الريح تكفأها فإذا
سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء
معتدلة حتى يقصمها الله معناه أن المؤمن من أن يصاب بالبلاء والأمراض
راض بتصريفه بين أقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه
كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما
أتتها فإذا أزاح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت
خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر ربه ومعرفة
نعمته عليه برفع بلايه منتظرا رحمته وثوابه عليه فإذا كان بهذه
السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفته ما له فيها من الأجر وتوطينه
نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض أو شدته والكافر
بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة الصماء حتى
إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة وأخذه بغتة من غير لطف ولا

رفق فكان مؤنته أشد عليه حسرته ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة
جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد كانجعاف الأرزة وكما
قال تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في أعدائه
كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من
أخذته الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم
به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجأة ومنه
في حديث إبراهيم كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب
يريد موت الفجأة وحكمة ثالثة أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها
شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من أصابته وعلم تعاهدها له
للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه معلقا
بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى ومن قبل العباد
ويؤدي الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر
يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تأخر طلب
التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد من نفسه
وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته
ودعا إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة

أو الله أعلم بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا ۞ وهكذا سيرة
عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين ۞ وهذا كله يحرمه غالبا الكفار
لإملاء الله لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال تعالى
ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ۞ ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة
سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته ۞ وقال موت الفجاءة راحة
للمؤمن وأخذة أسف للكافر والفاجر ۞ وذلك لأن الموت يأتي المؤمن
وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيفما جاء وأفضى إلى
راحته من نصب الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح
منه ۞ ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا
مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
ردها ولا هم ينظرون ۞ فكان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا
أفظع أمر صادمه وأكره شيء له ۞ وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ۞

القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام

۞ قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق
للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام
وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل
متنقصه من المسلمين وسابه ۞ قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ۞ وقال والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب أليم ۞ وقال تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا
أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما ۞ وقال تعالى
في تحريم التعريض له يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا وللكافرين الآية ۞ وذلك أن اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد
أي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله
المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل
بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به ۞ وقيل بل لما فيها من مشاركة
اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت ۞ وقيل بل لما فيها من قلة
الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في لغة
الأنصار بمعنى ارعنا نرعك ۞ فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه
إلا برعايتهم له وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال ۞ وهذا هو
عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ۞
صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب

لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى حينئذ
عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره ممن لم يدعه
ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء به فينادونه
فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على
عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى أذاه بكل وجه فحمل محققو
العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة
وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها والذي ذكرناه هو
مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله وأن ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره
وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لأنه
قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله
وقد يدعوه بكنيته أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال وقد
روى أنس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن
ذلك إذا لم يوقر فقال عليه السلام تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم
وروي أن عمر كتب إلى أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي صلى الله عليه
وسلم حكاه أبو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد أنه نظر إلى رجل
اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن

بلغ

لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب ألا أرى محمدا عليه السلام يسب
بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن وأراد أن يمنع
لهذا أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء إكراما لهم بذلك وغير أسماءهم وقال لا تسموا
بأسماء الأنبياء ثم أمسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه
السلام بدليل إطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا
وكناه بأبي القاسم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في
ذلك لعلي رضي الله عنه وقد أخبر عليه السلام أن ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو
ابن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر أحدكم أن يكون
في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على
بابين كما قدمنا

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه
عليه السلام سب أو نقص من تعريض أو نص اعلم وفقنا الله
وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق
به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو
عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو
التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم
الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على

هذا المقصد ولا نمترى فيه تصريحا كان أو تلويحا وكذلك من
لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم أو عبث فى جهته العزيزة بسخف من
الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيره بشئ مما جرى من
البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة
والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن
الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال أبو بكر بن المنذر أجمع
عوام أهل العلم على أن من سب النبى صلى الله عليه وسلم يقتل وممن
قال ذلك مالك بن أنس والليث وأحمد واسحق وهو مذهب الشافعى
قال القاضى أبو الفضل وهو مقتضى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ولا
تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثورى
وأهل الكوفة والأوزاعى فى المسلم لكنهم قالوا هى ردة وروى مثله
الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبرى مثله عن أبى حنيفة وأصحابه
فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو كذبه وقال سحنون فيمن
سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف فى استتابته
وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبينه فى الباب الثانى ان شاء الله
تعالى ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة

وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره وأشار بعض الظاهرية
وهو أبو محمد على بن أحمد الفارسى الى الخلاف فى تكفير المستخف به
والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون أجمع العلماء أن شاتم النبى
صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له
وحكمه عند الأمة القتل ومن شك فى كفره وعذابه كفر واحتج
ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن
نويرة لقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال أبو سليمن
الخطابى لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما
وقال ابن القسم عن مالك فى كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية
وحكاه مطرف عن مالك فى كتاب ابن حبيب من سب النبى صلى الله عليه
وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القسم فى العتبية أو شتمه
أو عابه أو تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الأمة القتل كالزنديق
وقد فرض الله توقيره وبره وفى المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبى
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب والامام مخير فى صلبه حيا
أو قتله ومن رواية أبى المصعب وابن أبى أويس سمعنا مالكا يقول
من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل
مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب وفى كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك

أو صلب حيا صح

أو

أنه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر
قتل ولم يستتب ۞ وقال أصبغ يقتل على كل حال أسر ذلك أو
أظهره ولا يستتاب لأن توبته لا تعرف ۞ وقال عبد الله بن عبد
الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب ۞
وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك ۞ وروى ابن وهب عن مالك من
قال إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ۞ ويروى زر النبي وسخ أراد به
عيبه قتل ۞ وقال بعض علمائنا أجمع العلماء على أن من دعا على نبي
من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة ۞
وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم
أبي طالب بالقتل ۞ وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون
صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال
لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته ۞
قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان
وقال أحمد بن أبي سليمن صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم
كان أسود يقتل ۞ وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله
برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد
من كلامه الأول ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمن

للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك ۞ قال
حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان
وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب إباحة
دمه ۞ وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أد واشك إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي
بالقتل ۞ وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته
إياه أثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن
قصدا وأنه لو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا ۞ وأفتى فقهاء
القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا
في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة
فرفعت عليه أمور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه
ونبينا عليه السلام فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء
وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار
وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت
وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ
في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا

عنه عليه السلام أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم ۞ وقال القاضي أبو عبد الله
ابن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب وإلا
قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين
من عصمته ۞ وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه
عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة ۞ وقال ابن عتاب الكتاب والسنة
موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضًا أو مصرحًا
وإن قل فقتله واجب ۞ فهذا الباب كله مما عده العلماء سبًا وتنقصًا
يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا
في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد ۞ وكذلك أقول حكم من غمصه
أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه من
جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه
أو بالميل إلى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل
وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه

فصل

في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام ۞ فمن القرآن
لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه ولا
خلاف في قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم
الكافر القتل فقال إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال في قاتل المؤمن

مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى أينما ثقفوا أخذوا
وقتلوا تقتيلا ۞ وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في
الدنيا ۞ وقد يقع اللعن بمعنى القتل قال الله تعالى قتل الخراصون
وقاتلهم الله أنى يؤفكون أي لعنهم الله ۞ ولأنه فرق بين أذاهما وأذى
المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان
حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل ۞ وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية ۞ فسلب اسم الإيمان عمن
وجد في صدره حرجًا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض
هذا ۞ وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
إلى قوله أن تحبط أعمالكم ولا يحبط العمل إلا الكفر والكافر يقتل ۞ وقال
تعالى وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير ۞ وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو أذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ۞ وقال
تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم
بعد إيمانكم ۞ قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله
عليه وسلم ۞ وأما الإجماع فقد ذكرناه ۞ وأما الآثار فحدثنا الشيخ
أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال

لون

نا أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيوية نا محمد بن نوح نا عبد العزيز بن
محمد بن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى
عن أبيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي
عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن
سب أصحابي فاضربوه ❀ وفي الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه
وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله
ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى ❀ وكذلك قتل
أبا رافع ❀ قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ❀
وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان
بسبه عليه السلام ❀ وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه عليه السلام
فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم
فقتله ❀ وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه
كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح
وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه ❀ وقد روى
البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى يا معشر قريش
ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك

على رسول الله صلى الله عليه وسلم ❀ وذكر عبد الرزاق أن النبي
صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال
الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير ❀ وروى أيضا أن امرأة كانت
تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن
الوليد فقتلها ❀ وروى أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم
فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه ❀ وروى ابن قانع جاء إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا
قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ❀ وبلغ
المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه أن
امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع
يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لأمرتك
بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود ❀ وعن ابن عباس هجت

أن رجلا صح

امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال
رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان ❀ وعن ابن عباس أن أعمى
كانت له أم ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم ويزجرها فلا تنزجر
فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه

فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه بذلك فأهدر دمها ❁ وفي حديث
أبي برزة الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق فغضب
على رجل من المسلمين ❁ وحكى القاضي إسمعيل وغير واحد من الأئمة
في هذا الحديث أنه سب أبا بكر ❁ ورواه النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ
لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه
فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ❁
قال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف عليه أحد فاستدل
الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه ❁ ومن ذلك كتاب عمر بن عبد
العزيز إلى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر
رضي الله عنه فكتب عمر إليه أنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد
من الناس إلا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل
دمه ❁ وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير
المؤمنين ما بقاء الأمة بعد نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن شتم
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد ❁ قال القاضي أبو الفضل
كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك

ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين
أفتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله
ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم أو من لا يفتواه أو يميل به إلى هواه
أو يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب
أو غير سب أو يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله لمالك على أصله
وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه ❁ ويدل على قتله من جهة
النظر والاعتبار أن من سبه أو تنقصه عليه السلام قد ظهرت علامة
مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة
وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي وقول الثوري وأبي
حنيفة والكوفيين ❁ والقول الآخر أنه دليل على الكفر فيقتله حدا
وإن لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا
مقلع عنه فهذا كافر ❁ وقوله إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه
أو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل
استحلاله لذلك وهو كفر أيضا فهذا كافر بلا خلاف ❁ قال الله تعالى
في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم
قال أهل التفسير هي قولهم إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر
من الحمير ❁ وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل

يوثق صح

ح
وإن لم يقتله مالك صح

فيقتل خ صح

سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل
وقد قيل ان قايل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل
ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه
ولان للحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر
من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره
وشفوف منزلته على غيره

فصل

فان قلت فلم لم يقتل النبي
صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه
ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد
تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من
هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان
فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام
يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان
ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم
تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا
ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه
وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل
من اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم

بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله فقال تعالى ولا تزال تطلع على
خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال بلغ
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة
الناس للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين
كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم
الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل
سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الا شرف
وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير
وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك
الكلمات انما كان يقولها القايل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا
نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا
يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على
هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء
ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين
وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض
ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام

من أقوالهم ما زمع وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من
صبي أو عبد أو امرأة والدماء لا تستباح إلا بعد اليقين ❊ وعلى هذا يحمل أمر
اليهود في السلام وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه ألا ترى كيف بهتت عليه
عايشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ❊ ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم
أصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم
وطعنا في الدين فقال إن اليهود إذا سلم أحدهم فإنما يقول السام عليكم
فقولوا عليكم ❊ وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديين إن النبي صلى الله عليه
وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك

كان صح

تركهم ❊ وأيضا فإن الأمر كان سرا وباطنا وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن
كان من أهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالإسلام لم
يتميز بعد الخبيث من الطيب ❊ وقد شاع عن المذكورين في العرب كون
من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر
منهم وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد
وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول
في الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل إنما
كان للعداوة وطلب أخذ الترة ❊ وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا

إلى مالك بن أنس رحمه الله ❊ ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس أن
محمدا يقتل أصحابه ❊ وقال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا
بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه
لظهورها واستواء الناس في علمها ❊ وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنا

فقوى

فقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي أبو الحسن بن
القصار ❊ وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا
يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا
سنة الله الآية قال معناه إذا أظهروا النفاق ❊ وحكى محمد بن مسلمة في
المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين
نسخها ما كان قبلها ❊ وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد
بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه
والتهمة له وإنما رآها من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد
في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا ورأى أنه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه ❊ وكذلك يقال في اليهود إذا قالوا السام عليكم ليس فيه
صريح سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع
البشر ❊ وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة الملال ❊ وهذا

دعا على سامه الذين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض
علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى قال
القاضي أبو الفضل قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه عليه السلم سواء
وقال القاضي أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم
قال ولم يذكر في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة
أو الحرب ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله
والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم
يؤمنون ولهذا ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من
ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا
معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره
وسمه وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من
حينه منهم وأنزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب
على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم
وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب وقال يا إخوة القردة والخنازير
وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم فإن قلت
فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة أنه عليه السلام ما انتقم لنفسه

في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم أن هذا لا
يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه فإن هذه من حرمات الله التي
انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم منه فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه
الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي
بإزاره حتى أثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي
شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه
وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه أو يكون هذا مما آذاه به كافر
وجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي
الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل
هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم
واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل

تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي وجه كان
من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه الوجه الثاني
لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل لما قال في جهته عليه
السلام غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في
جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة

ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل أن
ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس
أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو يكذب بما اشتهر
من أمور أخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره
أو يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في حقه وإن
ظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته
على ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه
وعجرفة وتهور في كلامه ❁ فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل
دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان
ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليما إلا من أكره وقلبه
مطمئن بالإيمان ❁ وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه ❁ وقال محمد بن سحنون في
المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم
تنصره أو إكراهه ❁ وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل
اللسان في مثل هذا ❁ وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه ❁ وأيضا
فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله

على نفسه لأن من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر منه
فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ❁ ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
وهل أنتم إلا عبيد لأبي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف
لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها إثم وكان حكم ما
يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به أو
ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى
دين آخر غير ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان
مصرحا بذلك كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه
وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره ❁ وإن كان متسترا
بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما
سنبينه ❁ قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد أو كذب به
فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع ❁ وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال
إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله
يقتل ❁ قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين

فهو بمنزلة المرتد ولذلك من أعلن بتكذيبه انه كالمرتد فيستتاب وكذلك
قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه ﴿ وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا
الى ذلك سرا او جهرا ﴿ قال أصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله
مع الفرية على الله ﴿ وقال اشهب في يهودي تنبأ أو زعم انه ارسل الى
الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب
والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي
بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة ﴿ وقال محمد بن
سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو
كافر جاحد ﴿ وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة
القتل ﴿ وقال احمد بن ابي سليمن صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود ﴿ وقال نحوه ابو
عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت
ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي ﴿ قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون
استتابة فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل
ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره
او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا متردد

النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء
المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل
ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول ﴿
وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد
فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم
النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان
على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم ﴿ وقال ابو اسحق البرقي
واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس ﴿ وهذا نحو قول سحنون
لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل
الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او
شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة
تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي
فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه ﴿
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه ﴿ وذهب الحارث
ابن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل ﴿ وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا

فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة
ألفاظه وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس
فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف ۞ قال ولكن ظاهر لفظه العموم
لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من
الأنبياء والرسل من اكتسب المال ۞ قال ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر
بين وما ترد إليه التأويلات لا بد من إنعام النظر فيه ۞ هذا معنى كلامه
وحكي عن أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله
بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أردت
الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان ۞ وكذلك أفتى فيمن
قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث
لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم
معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله
سب الله ولا سب رسوله وإنما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون
وأصحابه في المسألة المتقدمة ۞ ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس
من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر
القول ولا شك أنه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه وأجداده
جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي

من

قصد

الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم أنه
سب من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل ۞ وقد يضيق القول في نحو هذا
لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم أو قال
لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله
أو ولده على علم منه أنه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن
قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه
وسلم ممن سبه منهم ۞ وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد
عليه بشيء ثم قال تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت
فكان شيخنا أبو إسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القا
أبو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبرا
عمن اتهمهم من الكفار ۞ وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج
بنحو من هذا ۞ وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه
بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن
ثم أطلقه ۞ وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله بن عيسى أيام قضائه أتى
برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله وقال قم يا محمد
فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فأمر به إلى السجن
وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة

ضي

بلغ

باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه **فصل** الوجه الخامس ألا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه أو لغيره أو سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام أو قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل إن قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم أو إن كذبت فقد كذب الأنبياء أو إن أذنبت فقد أذنبوا أو أنا أسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله أو قد صبرت كما صبر أولو العزم من الرسل أو كصبر أيوب أو قد صبر نبي الله من عداه وحلم على أكثر مما صبرت ٥ وكقول المتنبي

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ٥

ونحوه من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام ٥ كقول المعري ٥

كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما من فقير

وعلى أن آخر البيت شديد وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من أبيه بديل

هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل ❁ فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه أشد ❁ ونحو منه قول الآخر ❁

وإذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين ❁

وقول الآخر من أهل العصر ❁

فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان ❁

وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون ❁

كأن أبا بكر أبو بكر الرضى وحسان حسان وأنت محمد ❁

إلى أمثال هذا وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصا ولست أعني عجزي بيتي المعري

ولا قصد قائلها إزراء وغضاضة وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزة حرمة
الاصطفاء ولا عزة حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها
أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو إغلاء
في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره
وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا إن درئ عنه
القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره وقرينة كلامه أو ندمه
على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر
الرشيد على أبي نواس قوله فإن يك باقي سحر فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف
خصيب وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه
عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي أن مما أخذ عليه أيضا وكفر فيه أو
قارب قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد
أنكروا أيضا عليه قوله كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره
لأن حق الرسول وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا يضاف
فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت
فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه ففي النوادر من رواية

ابن أبي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير
موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن
يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر
لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي كافرا فقال جعلت
هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما
كما أمرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل
عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد
فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه
أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى
مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك
وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس
الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على
طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله
فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض

جل

لمثل هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد
ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل ۞
وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له
الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي أميا فشنع عليه
مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال
أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه وسلم أميا آية
له وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله
فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع
فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ۞ ونزلت أيضا مسألة استفتى
فيها بعض فقهاء الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله
في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر
وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة
سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب ۞ وكان بعض فقهاء الأندلس
أفتى بقتله **فصل** الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا
عن غيره وآثرا له عن سواه ۞ فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته

ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة وجوه الوجوب والندب
والكراهة والتحريم فإن كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف
بقائله والإنكار والإعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما
ينبغي امتثاله ويحمد فاعله ۞ وكذلك إن حكاه في مجلس أو كتاب على
طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه ۞ وهذا منه
ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه ۞
فإن كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية
الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على
سامعه الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة
عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان
كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين ۞
وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته
لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى
الله عليه وسلم ولحق شريعته ۞ وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام
بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن
الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به
الحق وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحبا

في خ

ب

فی تکثیر الشهادة وعضد التحذیر منه ❁ وقد اجمع السلف علی بیان حال المتهم
فی الحدیث فکیف بمثل هذا ❁ وقد سیل ابو محمد بن ابی زید عن الشاهد
یسمع مثل هذا فی حق الله تعالی ایسعه الا یؤدی شهادته قال ان رجا
نفاذ الحکم بشهادته فلیشهد وکذلک ان علم ان الحاکم لا یری القتل
بما شهد به ویری الاستتابة والادب فلیشهد ویلزمه ذلک ❁
واما الاباحة لحکایة قوله لغیر هذین المقصدین فلا اری لها مدخلا
فی الباب فلیس التفکه بعرض النبی صلی الله علیه وسلم والتمضمض
بسوء ذکره لاحد لا ذاکرا ولا آثرا لغیر غرض شرعی بمباح ❁
واما للاغراض المتقدمة فمتردد بین الایجاب والاستحباب ❁
وقد حکی الله تعالی مقالات المفترین علیه وعلی رسله فی کتابه علی
وجه الانکار لقولهم والتحذیر من کفرهم والوعید علیه والرد علیهم
بما تلاه الله علینا فی محکم کتابه وکذلک وقع من امثاله فی احادیث
النبی صلی الله علیه وسلم الصحیحة علی الوجوه المتقدمة ❁ واجمع
السلف والخلف من ایمة الهدی علی حکایات مقالات الکفرة والملحدین
فی کتبهم ومجالسهم لیبینوها للناس وینقضوا شبهها علیهم وان کان
ورد لاحمد بن حنبل انکار لبعض علی الحارث بن اسد فقد صنع
احمد مثله فی رده علی الجهمیة والقایلین بالمخلوق وهذه الوجوه

هذا صح

السایغة الحکایة عنها ❁ فاما ذکرها علی غیر هذا من حکایة سبه
والازراء بمنصبه علی وجه الحکایات والاسمار والطرف واحاد
الناس ومقالاتهم فی الغث والسمین ومضاحک المجان ونوادر السخفا
والخوض فی قیل وقال وما لا یعنی فکل هذا ممنوع وبعضه اشد فی المنع
والعقوبة من بعض ❁ فما کان من قایله الحاکی له علی غیر قصد او معرفة
بمقدار ما حکاه او لم تکن عادته او لم یکن الکلام من البشاعة حیث هو
ولم یظهر علی حاکیه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلک ونهی عن
العودة الیه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له ❁ وان کان
لفظه من البشاعة حیث هو کان الادب اشد ❁ وقد حکی ان رجلا سال
مالکا عمن یقول القران مخلوق فقال مالک کافر فاقتلوه فقال انما حکیته
عن غیری فقال مالک انما سمعناه منک ❁ وهذا من مالک رحمه الله علی طریق
الزجر والتغلیظ بدلیل انه لم ینفذ قتله ❁ وان اتهم هذا الحاکی فیما
حکاه انه اختلقه ونسبه الی غیره او کانت تلک عادة له او ظهر
استحسانه لذلک او کان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله
وطلبه وروایة اشعار هجوه علیه السلام وسبه فحکم هذا حکم
الساب نفسه یواخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الی غیره فیبادر
بقتله ویعجل الی الهاویة امه ❁ وقد قال ابو عبید القسم بن سلام

یث

فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر ۞ وقد ذكر
بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي
صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ۞
ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث
المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها
يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الأول ليروا نقمة الله
من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه ۞ وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام
رحمه الله قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي أشعار
العرب في كتابه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا
من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض
سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل

الوجه السابع أن يذكر ما
يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ
من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر في
ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة ابتداء حاله
وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على
طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء
وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس فيه غمص

ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ
لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم
مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه أو يخشى به
فتنته ۞ فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت
عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن ۞ فقد قال
عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال
ما من نبي إلا رعى الغنم ۞ وأخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام ۞ وهذا
لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به
الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب ۞ نعم في ذلك للأنبياء
حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم إلى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة
أممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم ۞ وكذلك
قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له ۞ فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله
(صح من الله)
قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته
وصحة دعوته إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب
ومن ناوأه من أشرافهم شيئا فشيئا ونمى أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك
مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له

وتأييده بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسوّمين
ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال أن ذلك
موجب ظهوره ومقتضى علوه ❦ ولهذا قال هرقل حين سأل أبا سفين عنه
هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك قلنا رجل يطلب ملك
أبيه ❦ وإذ اليتم من صفته وإحدى علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار
الأمم السالفة ❦ وكذا وقع ذكره في كتاب أرميا ❦ وبهذا وصفه ابن ذي
يزن لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب ❦ وكذلك إذا وصف بأنه أمي
كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته
إذ معجزته العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم
الأول ووجود مثل هذا من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لُقّن
مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة إذ
المطلوب من الكتابة والمعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة
إليها غير مرادة في نفسها فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني
عن الواسطة والسبب ❦ والأمية في غيره نقيصة لأنها سبب
الجهالة وعنوان الغباوة ❦ فسبحان من باين أمره من أمر غيره وجعل
شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه

ذلك ع

القراءة ع

وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه
وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا إلى
سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمة بيته زهدا
ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء
أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرنا
فمن أورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ❦ ومن
أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي
قدمناها ❦ وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام
في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي أمورا لا يليق بهم بحال
وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يتحدث منها إلا بالصحيح
ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ❦ ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث
بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو
الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن
من الفقهاء ❦ وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها
فأكثرها ليس تحته عمل ❦ وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم
على الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل ❦ والنبي صلى الله

بيان الصحيح الثاني

عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه
وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم
تكن في حقهم مشكلة ۞ ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية
فلا يكاد يفهم مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها
إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها شذر مذر
فمنهم من آمن به ومنهم من كفر ۞ فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث
فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث
بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها
إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المقاد واهية الإسناد ۞
وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على
أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب
الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها
التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس
بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس ۞

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز والذاكر
من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن
يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب

صح

من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه
علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه
الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله
عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته ۞ وإذا أخذ في أبواب
العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام تحرى أحسن
اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية ۞ فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز
عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من
العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة ۞ وإذا تكلم على العلم قال هل
يجوز ألا يعلم إلا ما علم وهل يمكن ألا يكون عنده علم من بعض الأشياء
حتى يوحى إليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته ۞ وإذا تكلم في
الأفعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة
الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل
كذا وكذا من أنواع المعاصي ۞ فهذا من حق توقيره عليه السلام وما
يجب له من تعزير وإعظام ۞ وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا
فقبح منه ولم أستصوب عبارته فيه ۞ ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل
ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله

التعزير ههنا التوقير وأصل التعزير الرد والمنع والتعزير فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه ولهذا قيل للتأديب دون الحد تعزير لأنه يمنع الجاني ... الذنب ومعاودة الذنب يقال عزرته ... عزرته فهو من الأضداد ۞ النهاية

وإذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه عليه السلام أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة
تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه
ولهذا قال عليه السلام إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على جهة
النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله
لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم
على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند
ذكره مجردا فكيف عند ذكر هذا وقد كان السلف تظهر عليهم
حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان
بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها مقال
عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما
لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته

وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه السلام
وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو
صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم أن مشهور
مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا

إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته
ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا
القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة
على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد وجب لا تسقطه
التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله
إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو
حده وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته
تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين
ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق
إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن ابن القصار في ذلك قولين قال من
شيوخنا من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف
خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته
لأني أستدل على صحتها بمجيئه فكأنا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته
البينة قال القاضي أبو الفضل وهذا قول أصبغ ومسألة ساب
النبي صلى الله عليه وسلم أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم
لأنه حق متعلق للنبي ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق
الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث

وإسحق وأحمد لا تقبل توبته، وعند الشافعي تقبل، واختلف فيه عن أبي حنيفة
وأبي يوسف، وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستتاب
قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل بالتوبة عن المسلم من سبه عليه السلام
لأنه لم ينتقل من دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده عندنا القتل
لا عفو فيه لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر، وقال
القاضي أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه
وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي بشر
والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه الله بنبوته والباري تعالى
منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه
وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لأن الارتداد
معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن
سب النبي تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده أو
يقذف فإن توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف، وأيضا فإن توبة
المرتد إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل
ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع إلى تعظيم
حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة، قال
القاضي أبو الفضل يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضي

الكفر ولكن بمعنى الإزراء والاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار إنابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله أعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه،
وقال أبو عمران القابسي من سب النبي عليه السلام ثم ارتد عن الإسلام
قتل ولم يستتب لأن السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد،
وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج
إلى تفصيل، وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن
ذكرناه وقال به من أهل العلم فقد صرحوا أنه ردة قالوا ويستتاب منها
فإن تاب نكل وإن أبى قتل، فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه
والوجه الأول أشهر وأظهر لما قدمناه، ونحن نبسط الكلام فيه فنقول
من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وإنما يقول ذلك مع فصلين
إما مع إنكاره ما شهد عليه به أو إظهاره الإقلاع والتوبة عنه فنقتله
حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي وتحقيره ما عظم الله من حقه
وأجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر
أو تاب، فإن قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا
تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم
الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة وإنكاره
ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلا ومعصية وأنه مقلع

معا وغيرها

فمن ذلك ما دام عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص
وان لم تثبت له خصايصه كقتل تارك الصلاة وأما من علم أنه سبه
معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه
كفرا كتكذيبه أو تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه
لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره
وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من
لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله
وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم
ان شاء الله **فصل** اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها
على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها
وصورتها ومدتها فذهب جمهور أهل العلم الى أن المرتد يستتاب
وحكى ابن القصار أنه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة
ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمن وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن
أبي رباح والنخعي والثوري ومالك وأصحابه والأوزاعي والشافعي
وأحمد وإسحق وأصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير

والحسن في احدى الروايتين عنه أنه لا يستتاب وقاله عبد العزيز
ابن أبي سلمة وذكره عن معاذ وأنكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي
عن أبي يوسف وهو قول أهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله
ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكى
أيضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلماء على أن المرتد والمرتدة في ذلك سواء
وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي
عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال أبو حنيفة قال مالك
والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء وأما مدتها فمذهب
الجمهور وروي عن عمر أنه يستتاب ثلاثة أيام يحبس فيها وقد
اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولي الشافعي وقول أحمد واسحق
واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس
قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك أيضا
الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم
فان تاب والا قتل وقال أبو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثا روايتان
عن مالك هل ذلك واجب أو مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء
ثلاثا أصحاب الرأي وروي عن أبي بكر الصديق أنه استتاب امرأة

فلم تتب فقتلها ❧ وقاله الشافعي مرة وقال ان لم يتب مكانه قتل ❧ و[استحسنه] المزني ❧ وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل ❧
وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين ❧ وقال النخعي يستتاب ابدا
وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته ❧ وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة
انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة
مرة ❧ وفي كتاب محمد عن ابن القسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات
فان ابى ضربت عنقه ❧ واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام
الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا
ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره ❧ وقال اصبغ يخوف ايام
الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام ❧ وفي كتاب ابي الحسن
الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار ❧ قال
اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا
استوثق منه سواء ❧ ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم
منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد ❧ وقد استتاب النبي
صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا ❧ قال ابن وهب
عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع ❧ وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن
القسم ❧ وقال اسحق يقتل في الرابعة ❧ وقال اصحاب الرأي ان لم يتب
في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة ❧ قال ابن المنذر ولا نعلم
احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع ❧ وهو على مذهب
مالك والشافعي والكوفي **فصل** هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما
يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم ❧ فاما من لم تتم الشهادة
عليه بما شهد عليه الواحد واللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل
ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه
القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة
الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في
الدين والنبز بالسفه والمجون ❧ فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال
من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته
مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته ❧ وهو حكم كل من
وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال
وعايق اقتضاه امره ❧ وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله
وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ❧ ولمالك
في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه ❧
وقاله سحنون ❧ وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه [وسلم]

فشهد عليه شاهدان عدلان أدبته بالأدب الموجع والتنكيل والسجن الطويل
حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل
فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ويستطال سجنه
ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن
حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء
إلا بالأمر الواضح وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب
عقوبة شديدة فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من
عداوتهما أو جرحتهما ما أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره
أخف لسقوط الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به
ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم
ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في
تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الإرشاد **فصل** هذا حكم المسلم
فأما الذمي إذا صرح أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه
الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة
أو العهد على هذا وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري
وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن

يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن
نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل أيضا
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما
لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل
حرب يقتلون لكفرهم وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام
عنهم من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك
حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت
لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر
به ستقف عليها من كلام ابن القسم وابن سحنون بعد وحكى أبو المصعب
الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه ثم أسلم
فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه
لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهر إلا مخالفة للأمر ونقضا
للعهد فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله
قال الله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه
إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه

ولا استمعنا الى باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت عليه من الاحكام باقية
عليه لم يسقطها شي ۞ وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه
حق النبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق
النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب
عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف ۞ واذا كنا لا نقبل
توبة المسلم فالا نقبل توبة الكافر اولى ۞ قال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم
نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم ۞
وقاله ابن القسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون ۞ وقال سحنون واصبغ
لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة ۞ وفي كتاب محمد
اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من
النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب ۞ وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر ۞
وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ابن عمر فهلا قتلتموه ۞ وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا
لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شي
عليهم لان الله اقرهم على مثله ۞ واما ان سبه فقال ليس بنبي او
لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شي تقوله او نحو هذا فيقتل ۞

قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين
الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا
رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن
الطويل ۞ قال واما من شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل
الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب ۞ قال ابن القاسم ومحمل
قوله عندي ان اسلم طايعا ۞ وقال ابن سحنون في سؤالات سليمن بن سالم
في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة
مع السجن الطويل ۞ وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم ۞
قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك
ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان
من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا ۞ قال سحنون كما
لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في
قول قايل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم
يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة ۞ قال القاضي
ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول

ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتاملة ويدل على
أنه خلاف ما روى عن المدنيين في ذلك ما حكى أبو المصعب الزهري
قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه
فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح
على مزبلة فاكلته الكلاب وسيل ابو المصعب عن نصراني قال
عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن
نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة
ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح
منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد
كدت الا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن
كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شا قتله ثم حرق
جثته وان شا احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد
كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال
فامرني مالك فكتبت بان يقتل وتضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا
عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به
فكتبته بيدي بين يديه فما انكره وما عابه ونفذت الصحيفة بذلك

كلام

فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف من
اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة
عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل
عنها به قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب
وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم
او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب
روايتين في درء الحد عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف
وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما
يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد
القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه
ويحد ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله
عليه وسلم وغسله والصلاة عليه اختلف العلما في ميراث من قتل
بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين
من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة

القتل صح

لنبي صح

وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستسرا بذلك وإن كان
مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ۞ ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه
على ما أظهر من إقراره يعني لورثته ۞ والقتل حد ثبت عليه ليس من
الميراث في شيء ۞ ولذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل إذ هو
حده وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام ۞ ولو أقر بالسب
وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين
ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل
بالكفار ۞ وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف
فيه لأنه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ ۞ وكذلك
في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ۞ ومثله لابن القاسم في
العتبية ۞ وللجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن
كفره مثله ۞ قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين
ولا من أهل الدين الذي ارتد إليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه ۞ وقاله
أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه ۞ وقال أبو محمد بن أبي زيد وإنما يختلف
في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فأما المتمادي فلا
خلاف أنه لا يورث ۞ وقال أبو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات

ولم تعدل عليه بينة أو لم تقبل أنه يصلى عليه ۞ وروى أصبغ عن
ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه للمسلمين ۞ وقال
بقول مالك أن ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة
والشافعي وأبو ثور وابن أبي ليلى ۞ واختلف فيه عن أحمد ۞ وقال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن
والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والأوزاعي والليث
وإسحق وأبو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين ۞ وقيل ذلك فيما
كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين ۞
وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي أصبغ
وخلاف قول سحنون ۞ واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزند يق
فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها
أو اعترف بذلك وأظهر التوبة ۞ وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير
واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه
حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة
المسلمين لأن ماله تبع لدمه ۞ وقاله أيضا جماعة من أصحابه ۞

وقاله أصبغ والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون ۞ وذهب ابن
القاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا
يورث وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث ۞ قال وكذلك كل من أسر
كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام ۞ وسئل أبو القاسم بن الكاتب
عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه
أم المسلمون فأجاب أنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه
لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد
۞ هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته

وأنبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه ۞
لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم ۞
واختلف في استتابته ۞ فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب
ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق بن
يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون
افتراء على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب وإن لم
يظهره لم يستتب ۞ وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله ۞
وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم

بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن
لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة ۞ وهو الذي
حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب ۞ وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه
في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل
لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله تعالى
فمعذور ۞ واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هرون بن حبيب أخي
عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه
بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا
ما لو قتلت أبا بكر وعمر استوجب هذا كله ۞ فأفتى إبراهيم بن
حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض
فيه كالتصريح ۞ وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين
ابن عاصم وسعيد بن سليمن القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى
عليه التثقيل في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه
إلى التشكي ۞ فوجه من قال في ساب الله بالاستتابة أنه كفر وردة محضة
لم يتعلق بها حق لغير الله فأشبه قصد الكفر بغير سب الله وإظهار الانتقال
إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام ۞ ووجه ترك استتابته أنه لما ظهر
منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا

لم

وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل
توبته ❀ واذا انتقل من دين الى آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا
قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به
وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو
مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله ❀

فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على
طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل
والاجتهاد والخطاء المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت
بجارحة او نفي صفة كمال ❀ فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير
قايله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ❀ ولم يختلفوا في
قتالهم اذا تحيزوا فية وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا
في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم
والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم
كما فعل عمر بصبيغ ❀ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن
الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا
وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون
فان تابوا والا قتلوا ❀ وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من

فسر مالك

الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف
لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا
وميراثهم لورثتهم ❀ وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر
وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ❀ ومثله له في
المبسوط في الاباضية والقدرية وساير اهل البدع قال وهم مسلمون وانما
قتلوا لرايهم السوء ❀ وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز ❀ قال ابن القاسم من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل ❀ وابن حبيب وغيره
من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجية ❀
وقد روى ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر ❀
واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر
ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم ❀ وقد شوور في زواج القدري
فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مومن خير من مشرك ❀ وروى عنه
ايضا اهل الاهواء كلهم كفار ❀ وقال من وصف شيا من ذات الله تعالى واشار
الى شي من جسده يدا او سمعا او بصرا قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه ❀
وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه ❀ وقال ايضا في رواية ابن نافع
يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب ❀ وفي رواية بشر بن بكر التنيسي
عنه يقتل ولا تقبل توبته ❀ قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي

أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر
الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة
خلفهم. وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري.
وأكثر أقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن
لهيعة. روى عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن. وقاله ابن المبارك
والأودي ووكيع وحفص بن غياث وأبو إسحق الفزاري وهشيم
وعلي بن عاصم في آخرين. وهو من قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين
فيهم وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة وأصحاب البدع
المتأولين. وهو قول أحمد بن حنبل. وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة
في هذه الأصول. وممن روى عنه معنى القول الآخر بتكفيرهم علي بن أبي
طالب وابن عمر والحسن البصري. وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار
والمتكلمين. واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء
ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري
أحكام الإسلام عليهم. قال إسمعيل القاضي وإنما قال مالك في القدرية
وساير أهل البدع يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض
كما قال في المحارب إن رأى الإمام قتله وإن لم يقتل قتله. وفساد المحارب
إنما هو في الأموال ومصالح الدنيا وإن كان قد يدخل أيضا في أمر الدين

من سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة. **فصل** في تحقيق القول
في إكفار المتأولين. قد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار أصحاب البدع والأهواء
المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه إلى كفر هو إذا وقف عليه لا يقول
بما يؤديه قوله إليه. وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون فمنهم من
صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف. ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم
من سواد المؤمنين وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين وقال هم فساق عصاة
ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم بأحكامهم. ولهذا قال سحنون
لا إعادة على من صلى خلفهم. قال وهو قول جميع أصحاب مالك المغيرة
وابن كنانة وأشهب. قال لأنه مسلم وذنبه لم يخرجه من الإسلام. واضطرب
آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضده. واختلاف قولي مالك في
وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه. وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر
إمام أهل التحقيق والحق. وقال إنها من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا باسم
الكفر وإنما قالوا قولا يؤدي إليه. واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب
قول إمامه مالك بن أنس حتى قال في بعض كلامه إنهم على رأي من كفرهم
بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف
في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد. وقال أيضا نورث ميتهم ورثتهم

من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين * وأكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل *
ولذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير
وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى * وقال مرة من اعتقد
ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر *
ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان
سأله عن المسألة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر
في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين * وقال غيرهما من المحققين
الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين
الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطاء في سفك محجمة من
دم مسلم واحد * وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله * فالعصمة مقطوع
بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع
من شرع ولا قياس عليه * والفاظ الاحاديث الواردة في الباب
معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم
لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة
عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها
من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ

في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون
اشراك * وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير
معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل
قاطع * وقوله في الخوارج هم من شر البرية * وهذه صفة الكفار *
وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه * وقال
فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد * وظاهر هذا الكفر لا سيما مع
تشبيههم بعاد * فيحتج به من يرى تكفيرهم * فيقول له الاخر انما
ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث
نفسه * يقتلون اهل الاسلام * فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد
تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله نحكم
بكفره * ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي * فان احتج بقوله عليه السلام يقرؤون القران
لا يجاوز حناجرهم * فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم * وكذلك قوله
يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى
يعود السهم على فوقه * وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه
لم يتعلقوا من الاسلام بشيء * اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز
حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم

فوق السهم وهو موضع الوتر [illegible]

ولا تعمل به جوارحهم، وعارضوهم بقوله: ويتمارى في الفوق، وهذا يقتضي التشكك في حاله، وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل منها، وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه اللفظ، أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة، مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون من أمتي، وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا على إدخالهم فيها بمن، لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه، وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية، هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة، ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به ولا يكفر أحد بغير ذلك، وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر، وكل من أثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر، وقول بعض المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف الله فهو كافر، وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ

غير كافر، وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل، وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق، وإنما الخلاف في تكفيره، وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني، قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم، وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال، وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة، وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك، قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو شك فيه، والتكذيب والشك فيه لا يقع إلا من كافر

فصل

في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر، اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه، والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهو كفر كمقالة

فهي

والمانوية

الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية والمنانية وأشباههم
من الصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو
الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل
الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب وكذلك القرامطة
وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك
من اعترف بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم
وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه متولد
من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا
للعالم سواه أو مدبرا غيره فذلك كله كفر بإجماع المسلمين كقول الإلهيين
من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله و
العروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة
والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم
العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو
قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو
تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالإلهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما أو نبوة نبينا خصوصا
أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب

كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى والغرابية من الروافض
الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة
والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا
في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة
نبينا عليه السلام ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى في
ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية
والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء زعموا أن
ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من
أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم
إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع
وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به
وكذلك من أضاف إلى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه
أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم
أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو كافر بإجماع وكذلك نكفر من ذهب
مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة
والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وإن من أمة إلا خلا

فيها نذير إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة
وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه
وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم
ونبوة نبينا عليه السلام ولكن قال كان أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس
الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة
نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه السلام
أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب
وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة
علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل إمام
عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين
بنبوة بزيع وبيان وأشباه هؤلاء أو من ادعى النبوة لنفسه أو جوز
اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة
وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو أنه يصعد إلى السماء
ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار
مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عليه السلام أنه خاتم النبيين
ولا نبي بعده وأخبر عن الله أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس
وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به
دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعاً إجماعاً
وسمعاً وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص
حديثاً مجمعاً على نقله مقطوعاً به مجمعاً على حمله على ظاهره كتكفير
الخوارج بإبطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل
أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده
واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف
ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة
وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة
بعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم علياً وكفرت علياً إذ لم
يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا
الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على
زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر
الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى
قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على
قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل
أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرحاً
بالإسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس والقمر

والصليب والنار والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها بزيهم من شد
الزنانير وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر
وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام ۞ وكذلك
أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب الخمر والزنا مما
حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من القرامطة وبعض
غلاة المتصوفة ۞ وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد
الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الإجماع
المتصل عليه كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها
ويقول إنما أوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى
هذه الصفات والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي
والخبر به عن الرسول خبر واحد ۞ وكذلك أجمع على تكفير من قال من
الخوارج إن الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم إن
الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا
بالبراءة منهم ۞ وقول بعض المتصوفة إن العبادة وطول المجاهدة إذا
صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع
عنهم ۞ وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة
الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه

على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا ۞ فهذا ومثله لا مرية في تكفيره
إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم
إلا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له سبيلك أن تسأل عن هذا
الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة
إلى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك
البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن تلك الأفعال
هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وأن صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم
وشرح مراد الله بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا
ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر
باتفاق ولا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب
إذ لا يمكن أنه لا يدري ۞ وأيضا فإنه إذا جوز على جميع الأمة الوهم
والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول وفعله وتفسير
مراد الله به أدخل الاسترابة في جميع الشريعة إذ هم الناقلون لها وللقرآن

وانحلت عرى الدين كثرة ومن قال هذا كافر ۞ وكذلك من أنكر القرآن أو حرفا
منه أو غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والاسمعيلية أو زعم أنه
ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطي ومعمر الضيمري أنه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول ۞ وكذلك نكفرهما
بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له أو في خلق
السموات والأرض دليل على الله لمخالفتهم الإجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى
الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به ۞ وكذلك من أنكر شيئا مما
نص فيه القرآن بعد علمه أنه من القرآن الذي في أيدي الناس ومصاحف المسلمين ولم
يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالإسلام واحتج لإنكاره إما بأنه لم يصح
النقل عنده ولا بلغه العلم به أو لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين
المتقدمين لأنه مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر
بدعواه ۞ وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو البعث والحساب والقيامة فهو
كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا ۞ وكذلك
من اعترف بذلك ولكنه قال إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر
والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وإنها لذات روحانية ومعان
باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم أن

معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم
كقول بعض الفلاسفة ۞ وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم
إن الأئمة أفضل من الأنبياء ۞ فأما من أنكر ما عرف بالتواتر من
الأخبار والسير والبلاد التي لا ترجع إلى إبطال شريعة ولا تفضي إلى
إنكار قاعدة من الدين كإنكار غزوة تبوك أو مؤتة أو وجود أبي بكر وعمر
أو قتل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في إنكاره جحد
شريعة فلا سبيل إلى تكفيره بجحد ذلك وإنكار وقوع العلم له إذ ليس
في ذلك أكثر من المباهتة كإنكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة
علي من خالفه ۞ فأما إن ضعف ذلك من أجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين
أجمع فنكفره بذلك لسريانه إلى إبطال الشريعة ۞ فأما من أنكر الإجماع
المجرد الذي طريقه النقل المتواتر عن الشارع فأكثر المتكلمين من
الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الإجماع
الصحيح الجامع لشروط الإجماع المتفق عليه عموما ۞ وحجتهم قوله تعالى
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية وقوله عليه السلام
من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ۞ وحكوا الإجماع
على تكفير من خالف الإجماع ۞ وذهب آخرون إلى الوقوف عن القطع
بتكفير من خالف الإجماع الذي يختص نقله العلماء ۞ وذهب آخرون إلى

التوقف في تكفير من خالف الإجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بإنكاره
الإجماع لأنه بقوله هذا مخالف إجماع السلف على احتجاجهم خارق
للإجماع. قال القاضي أبو بكر القول عندي أن الكفر بالله هو الجهل
بوجوده والإيمان بالله هو العلم بوجوده وأنه لا يكفر أحد بقول
ولا رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله فإن عصى بقول أو فعل نص الله ورسوله
أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر أو يقوم دليل على ذلك فقد
كفر ليس لأجل قوله أو فعله لكن لما يقارنه من الكفر. فالكفر بالله لا
يكون إلا بأحد ثلاثة أمور أحدها الجهل بالله تعالى. والثاني أن
يأتي فعلا أو يقول قولا يخبر الله ورسوله أو يجمع المسلمون أن ذلك لا
يكون إلا من كافر كالسجود للصنم والمشي إلى الكنائس بالتزام الزنار مع
أصحابها في أعيادهم أو ذلك القول أو الفعل لا يمكن معه العلم بالله
قال فهذان الضربان وإن لم يكونا جهلا بالله فهما علم أن فاعلهما كافر
منسلخ من الإيمان. فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية
أو جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم
وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على
الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها.
وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر. وهو

لا يكفر المتأولين كما قدمناه. فأما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن أبي جعفر الطبري
وغيره وقال به أبو الحسن الأشعري مرة. وذهبت طائفة إلى
أن هذا لا يخرجه عن اسم الإيمان. وإليه رجع الأشعري قال لأنه
لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وإنما نكفر
من اعتقد أن مقاله حق. واحتج هؤلاء بحديث السوداء وأن النبي
صلى الله عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد لا غير. وبحديث القائل لئن قدر
الله علي. وفي رواية فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله له. قالوا ولو
بوحث أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها إلا الأقل.
وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها أن قدر بمعنى قدّر ولا
يكون شكه في القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم إلا بشرع
ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ
كفرا. فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول. أو يكون قدر
بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها. وقيل
قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه
من الجزع والخشية التي أذهبت لبه فلم يؤاخذ به. وقيل كان هذا في زمن الفترة
وحيث ينفع مجرد التوحيد. وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته

الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله أمثلة في كلامهم كقوله
لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين
فأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم
ولكن لا كلام له وهكذا في ساير الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال
بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه إذا
نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم فكأنهم صرحوا
عنده بما أدى إليه قولهم وهكذا عند هذا ساير فرق أهل التأويل من
المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم
موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس
بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه
كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين
اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف
الناس في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم
بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم
ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وساير معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا
عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن

الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي
الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا
لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم
فساق ضلال عصاة أصحاب كباير عند المحققين وأهل السنة ممن لم
يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب
قال القاضي أبو بكر وأما مسايل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق
وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقايق فالمنع
من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى
ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل
قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله

فصل

هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي
عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو
عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه
فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم
في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم إلا أن
يسلم قال في المبسوطة طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا

تعالى الله عز وجل عن ذلك

مُوحِدِيهم وعَلَيْهِ عُوهِدُوا مِنْ دَعْوَى الصَّاحِبَةِ والشَّرِيكِ والوَلَدِ وأمّا غَيْرُ هذا مِنَ الفِرْيَةِ والشَّتْمِ فَلَمْ يُعاهَدُوا عَلَيْهِ فَهُوَ نَقْضٌ لِلْعَهْدِ قالَ ابنُ القاسِمِ في كِتابِ مُحَمَّدٍ ومَنْ شَتَمَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الأَدْيانِ اللهَ تَعالى بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي ذُكِرَ في كِتابِهِ قُتِلَ إلّا أَنْ يُسْلِمَ وقالَ المَخْزُومِيُّ في المَبْسُوطَةِ ومُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ وابنُ أَبي حازِمٍ لا يُقْتَلُ حَتّى يُسْتَتابَ مُسْلِمًا كانَ أَوْ كافِرًا فَإِنْ تابَ وإلّا قُتِلَ وقالَ مُطَرِّفٌ وعَبْدُ المَلِكِ مِثْلَ قَوْلِ مالِكٍ وقالَ أَبُو مُحَمَّدِ بنُ أَبي زَيْدٍ مَنْ سَبَّ اللهَ تَعالى بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي بِهِ كَفَرَ قُتِلَ إلّا أَنْ يُسْلِمَ وقَدْ ذَكَرْنا قَوْلَ ابنِ الجَلّابِ قَبْلُ وذَكَرْنا قَوْلَ عُبَيْدِ اللهِ وابنِ لُبابَةَ وشُيُوخِ الأَنْدَلُسِيِّينَ في النَّصْرانِيَّةِ وفُتْياهُمْ بِقَتْلِها لِسَبِّها بِالوَجْهِ الَّذِي كَفَرَتْ بِهِ اللهَ والنَّبِيَّ وإجْماعَهُمْ عَلى ذلِكَ وهُوَ نَحْوُ القَوْلِ الآخَرِ فِيمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مِنْهُمْ بِالوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ بِهِ ولا فَرْقَ في ذلِكَ بَيْنَ سَبِّ اللهِ بِهِ وسَبِّ نَبِيِّهِ لِأَنّا عاهَدْناهُمْ عَلى أَلّا يُظْهِرُوا لَنا شَيْئًا مِنْ كُفْرِهِمْ وأَلّا يُسْمِعُونا شَيْئًا مِنْ ذلِكَ فَمَتى فَعَلُوا شَيْئًا مِنْهُ فَهُوَ نَقْضٌ لِعَهْدِهِمْ واخْتَلَفَ العُلَماءُ في الذِّمِّيِّ إِذا تَزَنْدَقَ فَقالَ مالِكٌ ومُطَرِّفٌ وابنُ عَبْدِ الحَكَمِ وأَصْبَغُ لا يُقْتَلُ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ كُفْرٍ إلى كُفْرٍ وقالَ عَبْدُ المَلِكِ بنُ الماجِشُونِ يُقْتَلُ لِأَنَّهُ دِينٌ لا يُقَرُّ عَلَيْهِ أَحَدٌ ولا تُؤْخَذُ عَلَيْهِ جِزْيَةٌ قالَ ابنُ حَبِيبٍ وما أَعْلَمُ مَنْ قالَهُ غَيْرَهُ

فَصْلٌ هذا حُكْمُ مَنْ صَرَّحَ بِسَبِّهِ وإضافَةِ ما لا يَلِيقُ بِجَلالِهِ

وإلهِيَّتِهِ فَأَمّا مُفْتَرِي الكَذِبِ عَلَيْهِ تَبارَكَ وتَعالى بِادِّعاءِ الإلهِيَّةِ أَوِ الرِّسالَةِ أَوِ النّافي أَنْ يَكُونَ اللهُ خالِقَهُ أَوْ رَبَّهُ أَوْ قالَ لَيْسَ لِي رَبٌّ أَوِ المُتَكَلِّمُ بِما لا يُعْقَلُ مِنْ ذلِكَ في سُكْرِهِ أَوْ غَمْرَةِ جُنُونِهِ فَلا خِلافَ في كُفْرِ قائِلِ ذلِكَ ومُدَّعِيهِ مَعَ سَلامَةِ عَقْلِهِ كَما قَدَّمْناهُ لكِنَّهُ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ عَلى المَشْهُورِ وتَنْفَعُهُ إنابَتُهُ وتُنْجِيهِ مِنَ القَتْلِ فَيْئَتُهُ لكِنَّهُ لا يَسْلَمُ مِنْ عَظِيمِ النَّكالِ ولا يُرَفَّهُ عَنْ شَدِيدِ العِقابِ لِيَكُونَ ذلِكَ زَجْرًا لِمِثْلِهِ عَنْ قَوْلِهِ ولَهُ عَنِ العَوْدَةِ لِكُفْرِهِ أَوْ جَهْلِهِ إلّا مَنْ تَكَرَّرَ ذلِكَ وعُرِفَ اسْتِهانَتُهُ بِما أَتى بِهِ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلى سُوءِ طَوِيَّتِهِ وكَذِبِ تَوْبَتِهِ وصارَ كالزِّنْدِيقِ الَّذِي لا نَأْمَنُ باطِنَهُ ولا نَقْبَلُ رُجُوعَهُ وحُكْمُ السَّكْرانِ في ذلِكَ حُكْمُ الصّاحِي وأَمّا المَجْنُونُ والمَعْتُوهُ فَما عُلِمَ أَنَّهُ قالَهُ مِنْ ذلِكَ في حالِ غَمْرَتِهِ وذَهابِ مَيْزِهِ بِالكُلِّيَّةِ فَلا نَظَرَ فِيهِ وما فَعَلَهُ في حالِ مَيْزِهِ وإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ عَقْلُهُ وسَقَطَ تَكْلِيفُهُ أُدِّبَ عَلى ذلِكَ لِيَنْزَجِرَ عَنْهُ كَما يُؤَدَّبُ عَلى قَبائِحِ الأَفْعالِ ويُوالى أَدَبُهُ عَلى ذلِكَ حَتّى يَنْكَفَّ عَنْهُ كَما تُؤَدَّبُ البَهِيمَةُ عَلى سُوءِ الخُلُقِ حَتّى تُراضَ وقَدْ حَرَّقَ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَنِ ادَّعى لَهُ الإلهِيَّةَ وقَدْ قَتَلَ عَبْدُ المَلِكِ بنُ مَرْوانَ الحارِثَ المُتَنَبِّئَ وصَلَبَهُ وفَعَلَ ذلِكَ غَيْرُ واحِدٍ مِنَ الخُلَفاءِ والمُلُوكِ بِأَشْباهِهِمْ وأَجْمَعَ عُلَماءُ وَقْتِهِمْ عَلى صَوابِ فِعْلِهِمْ والمُخالِفُ في ذلِكَ مِنْ كُفْرِهِمْ كافِرٌ وأَجْمَعَ فُقَهاءُ بَغْدادَ أَيّامَ المُقْتَدِرِ مِنَ المالِكِيَّةِ وقاضِي قُضاتِها أَبُو عُمَرَ المالِكِيُّ عَلى قَتْلِ الحَلّاجِ

وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في
الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته ❁ وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقيد
وكان على مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ
ابو الحسين بن ابي عمر المالكي ❁ وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبا قتل ❁
وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب
فهو مرتد ❁ وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبا
يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد ❁ وقاله سحنون وغيره ❁ وقال اشهب
في يهودي تنبا وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان
تاب والا قتل ❁ وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارية وادعى ان لسانه زل
وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره ❁ وهذا على القول الاخر
من انه لا تقبل توبته ❁ وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله
ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا
كفر المتلاعبين **فصل** واما من تكلم من سقط القول وسخف
اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة
ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله عز وجل من
ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر
والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على

تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه
وهذا كفر لا مرية فيه ❁ ولذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه ❁ وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل
المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز
يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى
ابن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من
القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال
ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء
ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم
الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف
الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر
بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم ❁ واما من صدر عنه
من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا
وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها ❁ وقد سئل ابن القاسم
رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال

إن كان جاهلاً أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه ❀ قال القاضي أبو الفضل وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ❀ ولو قالها على اعتقاد أن إلهه منزلة ربه لكفر ❀ هذا مقتضى قوله ❀ وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتّهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئاً مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول ❀ وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب ٥ رب العباد ما لنا وما لكا ٥ قد كنت تسقينا فما بدا لكا ٥ أنزل علينا الغيث لا أبا لكا ❀ في أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلّ ما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله ❀ قال أبو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الأمور ❀ وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا ❀ وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قلّ ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للإنسان جزيت خيراً وقلّ ما يقول جزاك الله خيراً إعظاماً لاسمه تعالى

أن يمتهن في غير قربة ❀ وحدثنا الثقات أن الإمام أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالاً لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق الله

فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به وأنكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه ❀ قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله الآية ❀ وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم الآية إلى قوله لا نفرق بين أحد منهم ❀ وقال كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله

قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء أو أحداً منهم أو تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم ❀ وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه إلا أن يسلم ❀ وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل ❀ وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته من سب الله وملائكته قتل ❀ وقال سحنون من شتم ملكاً من الملائكة

فعليه القتل ۝ وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل أخطأ بالوحي
وانما كان النبي علي بن أبي طالب استتيب فان تاب والا قتل ۝ ونحوه
عن سحنون ۝ وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان
النبي أشبه بعلي من الغراب بالغراب ۝ وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم
من كذب بأحد من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منه فهو مرتد ۝
وقال أبو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف
أنه قصد ذم الملك قتل ۝ قال القاضي أبو الفضل وهذا كله فيمن تكلم
فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين أو على معين ممن حققنا كونه
من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه أو حققنا علمه بالخبر
المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك
وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من
الملائكة ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة
ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما ۝ فأما من لم يثبت
الأخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء
كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين
ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي أهل الرس
وزرادشت الذي يدعي المجوس والمؤرخون نبوته ۝ فليس الحكم

في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة
ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم
لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته ۝
وأما انكار نبوتهم أو كون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك
من أهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك ۝ وان كان من عوام النا
زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد أدب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا
وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف
للعامة

فصل

واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو
بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية أو كذب به أو بشيء
منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه
أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند
أهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ۝ حدثنا
الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله نا أبو علي نا ابن عبد البر نا ابن
عبد المؤمن نا ابن داسة نا أبو داود نا أحمد بن حنبل نا يزيد بن هرون نا محمد بن
عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في
القرآن كفر ۝ تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال ۝ وعن ابن عباس عن النبي

صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه
وكذلك إن جحد التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة أو كفر بها أو لعنها
أو سبها أو استخف بها فهو كافر ۞ وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في
جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس أنه كلام الله
ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه حق وأن
من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم
يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن
عامدا لكل هذا أنه كافر ۞ ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها
بالفرية لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل ۞ أي لأنه كذب بما فيه
وقال ابن القاسم من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل ۞ وقاله
عبد الرحمن بن مهدي ۞ وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من
كتاب الله عز وجل يضرب عنقه إلا أن يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه ۞
قال وكذلك إن شهد شاهد على من قال إن الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر
عليه أنه قال إن الله ما اتخذ ابرهيم خليلا لأنهما اجتمعا على أنه كذب
النبي صلى الله عليه وسلم ۞ وقال أبو عثمن ابن الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون أن الجحد لحرف من التنزيل كفر ۞ وكان أبو العالية إذا

تعالى صح

قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم
فقال أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله ۞ وقال عبد الله بن
مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله ۞ وقال أصبغ بن الفرج
من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به
ومن كفر به فقد كفر بالله ۞ وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا
فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد
ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال أبو
الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الفعل بصفة تحتمل
التأويل إذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ۞
ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التأويل ۞ وقد اتفق
فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين
بها مع ابن مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه
في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان
فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهري وغيره ۞ وأفتى أبو محمد بن أبي زيد
بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب
ولم أرد القرآن ۞ قال أبو محمد وأما من لعن المصحف فإنه يقتل ۞

فصل وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه عليه السلم وتنقصهم
حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله نا أبو
الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل نا أبو يعلى نا أبو علي السنجي نا ابن محبوب
نا الترمذي نا محمد بن يحيى نا يعقوب بن ابرهيم نا عبيدة بن أبي رايطة عن
عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي فإنه يجي قوم في آخر الزمان
يسبون أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم
ولا تجالسوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام
من سب أصحابي فاضربوه وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن
سبهم وأذاهم يوذيه وأذى النبي حرام فقال لا توذوني في
أصحابي ومن آذاهم فقد آذاني وقال لا توذيني في عايشة
وقال في فاطمة بضعة مني يوذيني ما آذاها وقد

اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب
الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم
أصحابه أدب وقال أيضا من شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاصي فإن قال كانوا على
ضلال وكفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا
وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبا
شديدا ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر
ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عليا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربا وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون
من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن
شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك
من سب أبا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف
القرآن وقال ابن شعبان عنه لأن الله يقول يعظكم الله أن تعودوا
لمثله أبدا إن كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى أبو الحسن
الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن
ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن

ولذا سبحانه في آي كثيرة ❀ وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عايشة
فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح
نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء ❀ وهذا
يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشة ومعنى هذا والله اعلم ان الله
لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه
واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كان موذي نبيه
كذلك كما قدمناه ❀ وشتم رجل عايشة بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى
العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق
راسه واسلمه في الحجامين ❀ وروي عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع
لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال
دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم ❀ وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي يهجو
الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه ❀ قال مالك من انتقص احدا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله
الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم الاية وهاؤلاء الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم

(هامش: النبي صح)

فلا حق له في فيء المسلمين ❀ وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم
انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا
لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله
عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه ❀ قال ومن قذف ام احدهم
وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي
حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول
قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم
صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام
به قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري
قال وبالاول اقول ❀ وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب
الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر
ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول
صلى الله عليه وسلم ❀ وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة
في رجل انكر تحليف امراته بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر
الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه

(هامش: بسب صح)

فقال ابو المطرف ذكر هذا الابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب
الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو احق
باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا يقبل
فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله . وقال ابن
عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق انه ان كان في مثل ما لا
يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب
ضربا يبلغ به حد الموت وذكرها رواية . قال القاضي ابو الفضل
هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفى
الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان يكون في كل قسم منه للمريد مقنع
وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب
وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر
التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت
من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي
بما ارويه عما ارويه . والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول
ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تصنع وتزين لغيره وان يهب لنا
ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه
واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا في ابراز خصائصه

ووسائله ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا
ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم
باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه
ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول
واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه
من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهم
ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع
فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة
القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته
على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

نقل من الاصل المقابل باصل المصنف وهو نسخة ابن جبير
وقوبل بالاحتياط التام فصح بحمد الله وحسن عونه